

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

ذئاب ودماء

٥٣



رجل المستحيل • ذئاب ودماء • ٥٣ • الصورة العربية الحديثة بالفيديو

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للذئاب
زاحرة
بالأحداث
المثيرة

٥٣

ذئاب ودماء

- هل سيبنى (أدم) على قيد الحياة، ليواصل صراعه مع ذئاب الجبال؟
- لماذا سالت النساء أنهارًا، في أعماق جبال (الأنديز)؟
- لمن سيكون النصر، وسط ذلك الفوضى من الذئاب والدماء؟
- اقرأ الطاحيل المثيرة، لتعرف كيف يعمل (رجل المستحيل)



العدد القادم: رحلة الهلاك

www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للتوزيع والتوزيع
بجميع أنحاء مصر - القاهرة - ٢٠٠٤

١ - بين أسنان القرش ..

أشرفت شمس الصباح على مدينة (يما) ، عاصمة (بيرو) ، وألقت ضوءها على مبنى السفارة المصرية ، الذى يحتل ناصية مميزة ، فى أرق أحياء العاصمة ، ونفت السفير المصرى دحمان سجارته فى عمق ، وهو يتطلع إلى سلسلة جبال (الإنديز) ، التى تبدو شاحبة فى الأفق ، فغمضت زوجته فى صوت خافت ، وكأنها تخشى أن يعلو صوتها على صوت الكاراه :
 - أهازلت تفكرى فى رجل المخابرات ؟
 أوما برأسه إجابا ، وتعم فى قلق واضح :
 - لا يمكنى التفكير فى سواه ، إنه شاب والى ، لم يتردد لحظة فى اقتحام جبال الموت .. لاستعادة زميلته المخطوفة (*)
 ربتت زوجته على كتفه فى هدوء ، وغمغمت :
 - حياة رجال المخابرات تختلف عن حياتنا يا عزيزى ، فالأمر الذى ننظر إليها برعب وفزع ، وتحررها أحوالاً يشيب

(*) راجع الجزء الأول ، قصة (جبال الموت) .. المقامرة رقم (٥٢) .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

أيدى ذئاب الجبال ، وقررت المخابرات المصرية القيام بعملية تأديبية ، لتلغى ذئاب الجبال درساً قاسياً ، وتطوّر هو و (منى) هذه المهمة .. (*)
 وتذكر كيف بدأت المهمة باشتباك مباشر مع ذئاب الجبال ، فى حديقة السفارة المصرية ، وكيف تطوّر الأمر إلى صراع عنيد بينهما ، وبين (سانشو) ، زعيم الذئاب ، الذى يعاونه رجل (الموساد) (جولدمان) ، وكيف أعد (سانشو) خطة شيطانية محكمة ، أمكنه بواسطتها اختطاف (منى) ، ونقلها إلى وكر الذئاب ، فى أعماق (الإنديز) .. وانطلق (أدهم) خلف ذئاب الجبال ، واجتاز أحوالاً فى طريقه إليهم ، فعبر هوة الموت ، وقاتل الذئاب الحقيقية فى وادى الهلاك ، حتى وصل إلى الوكر ..
 ولأول مرة فى حياته ، وقع (أدهم) ضحية فخ لان ، اضطره للاختيار بين حياة (منى) أو حياته .. واستسلم (أدهم) ..
 لأول مرة فى حياته ، ذاق مرارة الخزيعة ..

(*) راجع الجزء الأول : قصة (جبال الموت) .. المقامرة رقم (٥٢) .

لها الوليد ، قد يبدو هم أموزا روتينية عادية ، لا يرتجف لها رمش واحد منهم .

ابهم السفير فى شحوب ، وغمغم :
 - ربما ، ولكنى لا أستطيع أن أنسى ، أنه يفعل ذلك من أجلنا أيضاً .

استعاد ذهنها بسرعة كل المخاطر ، التى تعرضت لها السفارة المصرية فى (يما) ، على أيدى منظمة (ذئاب الجبال) ، التى يسمى (أدهم) خلفها فى جبال (الإنديز) ، فشحب وجهها بدورها ، وأطرقت برأسها ، وهى تعغم :
 - نعم .. إنه يفعل ذلك من أجلنا .

إنها عملية تأديبية !! عملية تأديبية !! عملية تأديبية !!

دوت تلك العبارة المتكررة فى رأس (أدهم) ، وهو يوى فى أحشائى البئر السحيقة ، التى ألقاه فيها ذئاب الجبال ، واستعاد ذهنه القصة كلها ، مع سقوطه الخفيف ..
 لقد بدأ الأمر بنفس العبارة ، حينما تعرضت السفارة المصرية ، وتعرض العاملون فيها لسلسلة من الحوادث ، على

وحكم عليه (سانشو) بالموت ، في أعماق البحر ، يحتل قراره بأسماء القرش المتوحشة ، وطيفا لشريعة الذئاب ، هوى (أدهم) في البحر ، ومعه خنجر واحد ، بعد أن ألقى الذئاب بحيران ذبيح في أعماق البحر ..
واقطعت ذكريات (أدهم) ، التي مرقت في رأسه كالبرق ، حيناً ارتطم جسده بمياه البحر ، وغاص وسط برودتها وظلامها ، ليبدأ صراعه مع أسماء القرش .

كان الماء شديد البرودة ، مظلماً كليل بلا نجوم ، وشم (أدهم) رائحة دماء الحيوان اللذيذ ، وتحفرت حواسه ، انتظارا لهجوم أسنان القرش .
واستكان (أدهم) في هدوء ، وترك جسده يطفو في سكونية ، دون أن يحاول تحريك أطرافه ، حتى لا يجذب انتباه أسماء القرش ، التي لا يراها من فرط الظلام ..
كان موقفا رهيباً ، يحمده له الدم في العروق ، وكان (أدهم) يشعر بتوتر حقيقي ، وهو يحاول احتراق حجب الظلام بعينه ، ويتوقع أن تطبق أسنان القرش على جسده في أية لحظة ..

٨

ولجأة احتك به جسد ضخيم لزج ، وارتجفت المياه في قوة ، وتائر رذاذها في وجهه بعنف ..
لم يكن يرى شيئاً ، ولكنه كان يعلم أن فك القرش مفتوح عن آخره ، استعداداً لالتهامة .

وغاص (أدهم) بجسده في أعماق المياه الباردة بسرعة ملحلة ، ودفع خنجره إلى الأمام في قوة ، وشعر به يخترق جسداً رخواً ، وتلاطمت المياه حوله في قوة ، واكتسبت طعم اللحم ، فنزع خنجره من جسد القرش ، وأسرع بغوص أعمق وأعمق ، مبتعداً عن الدماء ، فقد كان يعلم أن أسماء القرش الأخرى ، التي ستجلبها رائحة الدماء ، لن تلتفت إليه ، قبل أن تلتهم جسد قريبها الجريحة ..

وأخذ (أدهم) يتحسس جدران البحر بسرعة ، ثم اندفع عبر الجانب المفتوح منها ، وهو يكتم أنفاسه تحت الماء ، وينطلق وسط ظلام داس رهيب ..

وكانت رحلة مرعبة في أعماق الماء ..
كان يشعر بمرور أسماء القرش إلى جواره ، وهي تندفع نحو رائحة الدم ، ويحاول تجاهلها ، وهو يواصل السباحة في الاتجاه العكسي ، مبتعداً عن مفد للهواء ..

٩

وأعادت إليه المفاجأة نشاطه وحيويته ، فأخذ يحرك ذراعيه وقدميه في الماء ، ليحفظ توازنه على سطحه ، وهو يدور بعينه في المكان ..
كان النفل الذي يمر تحت الجبال ، ويحمل مياه المحيط ، يتوقف هنا ، فيما يشبه بحيرة صخرية واسعة ، صنعها الطبيعة داخل كهف فسيح ، ترتفع جدرانه شاهقة ، حتى فتحة في نهايتها ، يسقط منها ضوء الشمس في الشروق ، فيغمر الكهف بضوء هادئ ، شبه متجانس ..

كانت معجزة أن ينجو (أدهم) من هذا الموقف المهلول ، وأن يصل إلى هذا المكان بالذات ..

وأخذ (أدهم) يسبح في هدوء نحو حافة البحيرة ، وهو يشعر بالسعادة والعزم ، وبأن الله (سبحانه وتعالى) قد أراد له أن يواصل قتاله مع ذئاب الجبال ..
ولجأة شعر (أدهم) بصوت يشق الماء خلفه ، فالتفت في سرعة ، وعقد حاجبيه وهو يدهم :
— يبدو أن النهاية ليست قريبة إلى الحد الذي كنت أتصوره .

فقد كانت هناك زعيفة رأسية ضخمة تشق الماء نحو ، وأسفلها سمكة قرش مفترسة ..

١١

وطال انطلاقه في البحر المظلم الطويل . وشعر برغبة تكاد أن تفلجح من شدة احتياجه للهواء ، وبدا له الطريق طويلاً .. لا نهاية له ، وهو يشق الماء بذراعيه ، ويدفع جسده بقدميه ، حتى يشعر أخيراً أنه لم يعد يحتمل ، وغمره في أعماق نفسه باستسلام :

— لا تكابر يا (أدهم) .. لكل شيء نهاية ..

ثم دفع جسده دفعه أخيرة ، قبل أن يترك نفسه للتيار في استكانة ..

لجأة اندفعت دفقة من الهواء إلى صدر (أدهم) ، وشعر بوجهه يرتفع فوق سطح الماء ، واتسعت عيناه في دهشة ، وهو يحدق في جدران كهف ضخيم ، من تلك الكهوف الرافدة في جوف الجبل ، وأغص عينيه في ألم ، حيناً سقطت أضعة الشمس على وجهه ، بعد سباحته لفترة طويلة تحت الماء ، في ظلام داس ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يتف في مزيج من الدهشة والظفر :

— يا إلهي !! يبدو أن ملك الموت لم يتيه إليك هذه المرة أيضاً يا (أدهم) .

١٠

٢ — بحيرة الدماء ..

لم تتوقف (منى) عن البكاء لحظة واحدة ، منذ رأت ذئاب الجبال ، وهم يدفعون (أدهم) إلى أعماق البر ، ومع كل دفعة تنهمر من عينيها ، كانت تسترجع ذكريات مهامها السابقة بصحة (أدهم) ، ووجدت نفسها تغرق في لوعة الألم :

— وداعا يا (أدهم) .. وداعا أيها الحبيب .. يا من جبت أركان العالم الأربعة ، وحطمت حياة الجاسوسية والإجرام ، وداعا يا من كان اسمك وحده يثير الرعب في قلوب أعداء مصر .. وداعا يا رجل المستحيل .

فاجأها صوت (جولدمان) الشامت الساخر ، وهو يقول :

— يا لها من مرثية !! من الواضح أنك تحملين عاطفة قوية تجاه ذلك الشيطان المصرى ..

كان يتحدث بلهجة عربية ، ولهجة مصرية سليمة ، مما جعل (منى) تنفث في حق :

— إذن فقد قضيت شباهك في مصر أيها الوغد .
ابسم (جولدمان) في سخرية ، ولووح بذراعه في حركة مسرحية ، وهو يقول :

— لقد كان لذلك عظيم الأثر في انغماسي إلى (المواد) أيها المصرية .

امتلات نفس (منى) بالغضب ، فهتفت في صرامة :
— كان ينبغي أن تستنق ، قبل أن تهاجر إلى إس ..
قاطعها (جولدمان) في سخرية :

— لقد حدث ذلك قبل مولدك يا فتاتي ، وقبل أن يبلغ زميلك القليل الخامسة من عمره .

ارتجف جسدها لعبارة ، وعادت تنفث في غضب :
— سيعود (أدهم) أيها الخفي .. سيعود كما وعد .

أطلق (جولدمان) ضحكة ساخرة ، في نفس اللحظة التي دخل فيها (سانشو) إلى الحجرة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— ماذا يحدث هنا ؟

التفت إليه (جولدمان) ، وقال في سخرية ، مستخدما اللغة الإسبانية :

— إنها تقول إن ذلك الشيطان المصرى سيعود .
ابسم (سانشو) في سخرية ، فقرض طرف سيجاره في حركة سريعة ، ثم دس الطرف الآخر بين شفتيه ، وأظلمه وهو يقول :



ودار حول سمكة القرش الرهبة ، وتعلق بزعنفتها الرأسية ، ثم أعمد خنجره في جسدها بلا تردد ..

— يعود من بحر القرش !! .. يا لها من متفائلة !!
وتألفت عيناها في وحشية ، وهو يردف :
— لو أنه فعل ، فسأطلق عليه عن حق ، لقب (رجل المستحيل) .

تركنا (أدهم) في البحيرة المغلقة ، في أعماق الجبل ، وسمكة القرش المفترسة تدفع نحوه ، وأبنتاها الحاذقة تستعد لالتهامه ، وهو لا يحمل سوى خنجره ..

ولكن (أدهم) بدا — في هذه اللحظة — أهدأ من رجل يسترخى على مقعد رثير ، في حجرة أنيقة ، يستمع إلى موسيقى كلاسيكية هادئة ، فقد ابتسم في سخرية ، وغنمهم في حزم :

— الأمر هذه المرة يختلف يا سمكة القرش ، فانا أراك في

وضوح .
ولم يكذبهم عبارته ، حتى غاص في أعماق البحيرة بسرعة ومهارة ، حتى أن أسنان القرش قد أظلمت على مزيج من الماء والفراغ ، في حين شق (أدهم) الماء أسفلها في قوة ، ودار حول سمكة القرش الرهبة ، وتعلق بزعنفتها الرأسية ، ثم أعمد خنجره في جسدها بلا تردد ..

لأوت سمكة القرش ، وأخذت تضرب الماء بزعنفتها ،

وتفرض عميقاً ، بمحاولة التخلص من ذلك الشيطان ، الذى تثبت بزعمتها فى قوة ، وانها لن تنجح . بها بطلمات قوية محكمة ، جعلت سطح البحيرة يصطبغ بدمائها ، فى حين كم (أدهم) أنفاسه تحت الماء ، وهو يقول لنفسه .
— لا تدعها يهزمك يا (أدهم) .. لا بد لك من العودة .
وانقاذ (منى) .

وفى ضربة محكمة أخيرة ، غرس أدهم خنجره حتى مقبضه ، فى عين سمكة القرش ، التى انقضت جسدها الضخم فى قوة ، ثم استكانت حركتها ، وبدأت تفرض فى أعماق البحيرة فى سكون ، فخلّص (أدهم) من زعمتها ، وبدأ يدفع ذراعيه فى أعماق البحيرة ، بمحاولة الصعود إلى السطح ، ولكنه فوجئ أمامه بحمس من أسماك القرش ، تندفع إليه فى وحشية واضحة ..

أو أن مراقباً قدّر له أن يشهد ما حدث فى تلك اللحظة ، لأقلم فى ذهول ، أن (أدهم صبرى) هو أكثر أهل الأرض بروذاً وهدوءاً ، فقد واصل صعوده إلى سطح البحيرة ، متجاهلاً أسماك القرش الخمس تماماً ، حتى أنه عبر وسطها ، دون أن يلتفت إليها ..

١٦

والأعجب أنها لم تلفت إليه أبداً ..

وكان (أدهم) يعلم أنها لن تفعل ..

كان عقله ، الذى يعمل دائماً ، وبلا توقف ، يعلم أن أسماك القرش الخمس لن تهاجمه ، إلا بعد أن تلتهم جنة زميلتها ، التى جذبتها إليها رائحة الدماء ، المنبعثة من طلعات خنجر (أدهم) ..

وهذا ما حدث ..

لقد انقضت أسماك القرش الخمس على جسد زميلتها ، فى حين صعد (أدهم) إلى سطح البحيرة ، وأخذ يضرب بذراعيه فى قوة ، سابحاً نحو شاطئها الصخرى ، ولم يكد يصل إليه حتى تثبت بالصخور ، وقفز خارج الماء فى رشاقة ، ثم استلقى على الشاطئ بسلام ، ويتطلع إلى الفجوة العالية فى قمة الكهف . لم يكن جسده قد ذاق طعم النوم لحظة واحدة ، منذ بدأ قتاله مع ذئاب الجبال ، وكان يشعر برغبة قوية فى أن يلقى عينه ، ويستسلم لنوم عميق ، ولكنه تذكر أن (منى) لم تزال أسيرة لدى ذئاب الجبال ، فعاد يستدل فى نشاط مفاجئ ، وهب وانقأ على قدميه ، وتطلع إلى ارتفاع جدران الكهف ، وإلى الفجوة فى قمته ، ثم غمغم فى عزم :

١٧

— ماذا ستفعل بالفتاة ؟

مطّ (سانشو) شفتيه ، وقال :

— سأحصل على ثمنها .

عقد (جولدمان) حاجبيه ، وقال :

— ماذا تعنى ؟

أجابته (سانشو) فى هدوء :

— ستدفع السفارة المصرية ثمناً كبيراً لاستعادتها بالتأكيد

با سيور (جولدمان) .

وعادت عيناه ترقان فى شراسة وسخرية ، وهو يستطرد :

— ولن أقل أقل من مليون دولار دفعة واحدة .

بجهد شاق ذلك الذى بذله (أدهم) ، حتى نجح فى

الصعود إلى تلك الفجوة ، فى أعلى الكهف ..

كانت الصخور حادة مؤلمة ، وكان الارتفاع شاهقاً ..

ولكن إرادة (أدهم) كانت أحذ من الصخور ، وأكثر

ارتفاعاً من جدران الكهف .

لقد هزم الجبل ، ولكن عضلاته كانت تتجفأ ألماً

وإرهاقاً ، وهو يعبر الفجوة إلى الخارج ، حتى أنه لم يستطع

١٩

— الوسيلة الوحيدة للخروج من هنا هى البحيرة ، أو فجوة السقف ، وأعتقد أنه ليس لى حق الاختيار .
وثبتت خنجره فى عنق حدائه ، وانطلق يتسلق جدران الكهف فى عزم ..

جلس (سانشو) يدخن سيجاره فى هدوء وتلذذ ،

ويستمع إلى (جولدمان) ، الذى أخذ يقول فى حماس :

— لقد حققت ما عجز عنه الكثيرون يا (سانشو) .. لقد

قلت (أدهم صبرى) .

غمغم (سانشو) فى تفاخر :

— لم يكن ذلك أمراً عسيراً كما تظن يا سيور

(جولدمان) ، ثم إن أحداً لم يهزم ذئاب الجبال قط .

ابتسم (جولدمان) فى ارتياح ، وقال :

— لقد جعلتني أؤمن بذلك يا (سانشو) ، حتى أننى

طالبت دولتى برفع المبلغ الذى تدفعه لك إلى مليون ونصف

مليون فى الشهر الواحد .

تألمت عينا (سانشو) فى جدل ، وإن لوح بذراعيه على

نحو يوحى بأن الأمر لا يعنيه ، فى حين تحولت لهجة

(جولدمان) إلى الجدبة ، وهو يسأله :

١٨

٣ — ملك الذئاب ..

لم يكن الموقف جديدا بالنسبة لـ (أدهم) ، ولكنه كان رهيبا ..

كان جسده يكاد يهوى من شدة إرهابه ، وقطيع من الذئاب يواجهه في تحفز واضح ، وهو لا يملك سوى عجز واحد ، وتلك الصخرة التي احتمى فوقها في المواجهة السابقة ، تقع بعيدة ، على بعد مائتى متر تقريبا .. ولأول مرة في حياته شعر (أدهم) باليأس ، ولكنه لم يند بأسه هذا ..

كان عيدا صارما ، حتى أمام الذئاب ، لذا فقد نصب هامته ، وأطل الحزم من عينيه ، ومد يده في هدوء ، يستل عجزه ، ويشهده في وجه قطيع الذئاب كله .. وكان النصر في هذه المرة مستحيلا .. حتى بالنسبة لرجل المستحيل ..

وعُيِّل إليه أن الوقت يحضى ببطء ، وأن قطيع الذئاب يتفرس فيه بامعان ، دون أن يتحرك أحدها ، وبات الموقف أشبه بلوحة صامتة ، ساكنة ، لا تتحرك فيها حتى الرياح .. ثم انفصل ذئب عن القطيع ..

٢١

الوقوف على قدميه ، فألقى جسده على الأرض ، وأخذ يلهث في قوة ، ويتطلع إلى الشمس في ارتياح .. ومضت ساعة تقريبا ، وهو مستلق على الأرض الصخرية ، وحده الشمس بغمرة ، ويهت في جسده الدفء والراحة ، حتى أنه أطلق جففيه في تراخ ، واستجاب لصراخ جسده المتضرع ، المنهل إلى الراحة .. وبدأ النوم يتسلل إلى جفنيه في هدوء لذيذ ، واسترخت عضلاته التي أرهقها التعب ، وطالت يقظتها ، ولكن .. انتزعته من استرخائه فجأة عواء قوي ، فقفز واقفا على قدميه ، وتطلع في توثر إلى قطيع الذئاب ، الذي يحذق فيه بعيون شرسة وحشية .. وكشف في هذه اللحظة إلى أين قادته الفجوة .. لقد عادت به إلى وادي الهلاك ..

٢٥

— فليبق لك زعامتك يا صديقى ، وما كفى بمنصب رئيس شرف ..
ثم سار عبر قطيع الذئاب في هدوء ، ولوح بيده في بساطة ، وهو يردد :
— إلى اللقاء أيها الذئاب ، سأذكركم بالحير ، حينما أواجه ذئاب البشر ..
وسرعان ما اختفى وسط الغابة الكثيفة ، على حافة وادي الهلاك ..

أحد مواطني (بيرو) يطلب مقابلتك شخصيا يا سيادة السفير ..
رفع السفير المصرى عينيه إلى سكرتير مكتبه ، الذى نطق بالعبارة في صوت قلبي ، يشف عن أهمية الأمر ، فسأله في اهتمام :

— وما الذى يقلقك في هذا ؟ .. إنها ليست أول مرة يطلب فيها أحد المواطنين هنا مقابلتى ..
غمغم السكرتير في نبرات مترقبة :
— إنه يدعى (سانتشو) ، وهو ضخم ، أصلع ، ذو لحية كثرة ..

٢٣

ذئب ضخم ، تقدم نحو (أدهم) في هدوء ، حتى أصبح على قيد خطوات منه ، وتحفزت عضلات (أدهم) للقتال ، واشتدت قبضته حول مقبض عجزه ، ولكن اللبب أحنى رأسه أمام (أدهم) ، وأطلق عواء خافا ، مستسلما ، ثم ركع عند قدمي (أدهم) ..

وهنا تبين (أدهم) الموقف كله ..
لقد كان نفس الذئب ، الذى هزمه (أدهم) في المرة السابقة ، وما هو ذا يرفع لواء الطاعة والولاء ، ويؤكد زعامته (أدهم) ، الذى اتسعت عيناه في دهشة ، حينما قلدت باقى الذئاب قائدها ، وركعت بدورها ، ورددت أمام (أدهم) ..
لقد التحت لمملكة الذئاب أمام واحد من البشر ..
أمام (أدهم صبرى) .. ملك الذئاب الجديد ..
وأطلق (أدهم) زفرة قوية ، قبل أن يهتف في دهشة :
— يا إلهي !! .. إن ذاكرة هؤلاء الذئاب أقوى مما كنت أتصور ، إنهم مازالوا يذكرون هزيمتى لقائهم ، وما زالوا يحثروننى زعيمهم الجديد ..

أعاد إليه الموقف اللدهش العجيب نشاطه ، وثقته بالنصر ، فأعاد عجزه إلى عنقه ، ورثت على رأس زعيم الذئاب في هدوء ، وهو يقول :

٢٢

اتسعت عينا السفير في دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يفهم :

— هل قُتله رجال الأمن ؟

أوماً السكرتير برأسه إيجاباً ، وغمغم :

— إنه لا يحمل أية أسلحة .

ظهر التفكير لحظة على وجه السفير ، ثم قال في حزم :

— حسناً .. أحضره إلى هنا ، واطلب من رجلى أمن

حضور الحديث بيتاً .

أصرع السكرتير يلى الأمر ، ولم تكد تقضى لحظات ، حتى

عبر (سانشو) باب حجرة السفير ، وهو يتسم في سخرية ..

وخلفه اثنان من رجال الأمن ، يصوب كل منهما مسدسه إليه ،

وقال (سانشو) متفكماً ، وهو يبدو عجيباً في حلقه الأنيقة :

— يبدو أن رجالك لا يتقون في كوني مجرداً من السلاح

أيها السفير .

سأله السفير في صرامة :

— ماذا تريد يا زعيم ذئاب الجبال ؟

رفع (سانشو) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وقال :

— إذن فأنت تعرفني !! .. هذا أفضل ، حتى لا نضيع

الوقت في تعارف سخيف .

ثم جلس على المقعد المقابل لكعب السفير ، دون أن يدعو أحداً للجلوس ، والنقط في وقاحة سيجاراً ، من العلبة الصدفية الموضوعة فوق المكتب ، وأشعله في برود ، وهو يستطرد :

— لقد وصلنا رسالتكم ، على هيئة ضابط مخبرات مصرى وزميلته ، ولقد أتيت لأخبر لكم عن شكرنا وامتناننا .

امتلات نفس السفير بالقلق والتوتر ، وهو يقول في جدّة :

— أين (أدهم) ؟ (منى) ؟

ابتسم (سانشو) في سخرية ، ونثت دخان سيجاره ،

وهو يقول في برود :

— لئى كم تساوى حياتهما لدى الحكومة المصرية أيها

السفير ؟

عاد السفير يسأله في غضب :

— أين هما ؟

هزّ (سانشو) كتفيه في استهتار ، وقال :

— تُرى أتملكون مليون دولار نقداً هنا في السفارة ؟ أم

أننى سأضطر إلى صرف أحد شيكاتكم من بنك (بيرو) ؟

كان هذا بمثابة إعلان صريح عن الهدف من زيارة

(سانشو) ، فراجع السفير في دهشة ، كمن تلقى صدمة

قوية ، وشخب وجهه ، وهو يفهم :

— ولكن أبوع ما فعله كان ذهابه إلى السفارة المصرية

بنفسه هذا الصباح ، وهو يؤكد أنهم سيذهبون مليوناً من

الدولارات ، في مقابل حياة رجل ميت يا (ديور) .

أطلق (ديور) ضحكة ساخرة ، وقال :

— اعتقد أنه ينبغي أن تحصل أسماك القرش على نصيبها من

المليون دولار .

توقفت ضحكة الساخرة في حلقه ، وجفّ لعابه فجأة ،

حيناً أتى من خلفه صوت ساخر ، يقول :

— اطمئن أيها الوغد ، ستحصل أسماك القرش على نصيب

أوفر ، من أجسادكم .

لفظ (ديور) و (ريجز) في ذعر ، وأسرعاً إلى مدفعيهما

الرشاشين ، ولكن الأول شعر بقبلة تفجير في وجهه ،

وبأسنانه تتطاير ، وترطم بحلقه ، ليطلع لثلاً منها على الرغم

منه ، في حين انقضت صاعقة على معدة الثانى ، فنجحت عيناه

في ألم وذعر ، وكاد يصرخ متألماً ، ولكن مطرقة فولاذية ،

تحمل شكل قبضة بشرية ، هوت على فكّه ، فهشمت في صوت

مسموع ، وسقط إلى جوار زميله مجنحلاً ..

أسرع (أدهم) يسحب الرجلين إلى ما خلف أحد

— هل تعلم أننى أستطيع احتجارك هنا بالقوة ، ومقايسة

حياتك القدرة بحياتهما ؟

هزّ (سانشو) كتفيه في استهتار ، وقال :

— إنك لن تفعل أيها السفير ، فحياتى لن تساوى حياتهما

لديك .

ثم نهض في هدوء ، وقال :

— مليون دولار نقداً قبل مساء الغد ، وإلا فستأول أسماك

القرش وجبة مصرية شهية .

وانصرف بسرعة ، وهو يهين نفسه على ذكائه ، حيناً لم يخبر

السفير عن مصرع (أدهم صبرى) .. كما كان يتصور .

نثت أجند ذئاب الجبال دخان سيجارته في وجه القمر ،

الذى بدأ يبرز من خلف الجبال ، مع قدوم المساء ، وانضت

إلى زميله ، قائلاً :

— لقد أثبت (سانشو) ذكائه وقوته هذه المرة

يا (ريجز) ، لقد أجبر ذلك الشيطان المصرى على

الاستسلام ، وألقاه في بئر القرش .

ابتسم (ريجز) ، وقال وهو يشمل سيجارته بدوره :

٤ - واشتعلت الجبال ..

القرب (سانشو) من (منى) ، المقيدة في ركن حجرته ،
والخني نحوها ، قائلاً في سخرية :

— لقد خسرت هذه المهمة تمامًا يا فتاتي ، لقد قلت
زيمليك ، وستدفع دولتك مليونًا من الدولارات في مقابل حياته
وحياتك ، أرايت ما هو أكثر طرافة من ذلك ؟

امتلأت عينا (منى) بالدموع ، وهي تحث في حثي :
— إنني أفتي رؤية (أدهم) وهو يحطم فمك المقيت هذا .
أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة ، والصفت إلى
(جولدمان) ، الذي يجلس هادئًا في الركن الآخر من
الحجرة ، وقال :

— يبدو أن هؤلاء المصريين يؤمنون بالبعث حقًا يا سيور
(جولدمان) ، إن هذه الفتاة تتصور أن زميلها الشيطان
سيعود من العالم الآخر ليحطم فمك .

التسم (جولدمان) في سخرية ، وقال :
— سيكون هذه هي أول مرة يعود فيها شيطان من الجحيم ..
وارتحف جسده كريمة في مهب الريح ، حينًا ارتفع صوت
(أدهم) الساخر بقول :

الأشجار ، ثم جردهما من مسدسهما ، وتأكد من امتلاكهما
بالذخيرة ، ودسهما في حزامه ، ثم التقط مدفعيهما الرشاشين ،
فتبث أحدهما في كفه ، وأمسك الآخر في قوة ، وهو يغسم
في عزيمته :

— لقد عاد (أدهم صبرى) يا أوغاد الجبال .



— سجل التاريخ إذن أيها الوغد ، فيها هي ذى المرة الأولى
تحدث في وجودك .

كان وقع ظهور (أدهم) قويًا ، عجيبًا ، متباينًا ، فقد
شحبه وجه (جولدمان) كالقوى ، وغاص في مقعده ، وهو
يرتحف كحشرة مطلة في جو شديد البرودة ، وتراجع
(سانشو) مصعوقًا ، وجعلت عيناه ، وهو يحذق في
(أدهم) ، الذي أخلق باب حجرة (سانشو) خلفه ، ووقف
يتسم في سخرية ، مرتديًا حلّة الصاعقة ، ومصنوبًا مدغمه
الرشاش إلى هذا الأخير ..

أما (منى) فقد خلق قلبًا في قوة ، وتراقص بين جبلها ،
وتفكرت دسوع القرح من عيناها ، واختق صومها ، قبل أن
تهتف في سعادة ثم تشعر بتغلها من قبل :

— (أدهم) .. أنت ؟ أنت حتى ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— يبدو أن أسماك القرش لم تستغ طعمي يا عزيزتي .
وهنا هتف (سانشو) في ذهول :

— هذا مستحيل !! لا أحد يعود من بئر الموت .

مز (أدهم) كليله ، وهو يقول في سخرية :

— إذن فانا أجل اسم (لا أحد) أيها الوغد .

حذق (سانشو) في وجهه بذهول ، في حين استنرد
(أدهم) في صرامة :

— والآن حلّ قيود زميلتي في هدوء ، وحذار أن ترتكب
حركة واحدة مريبة ، وإلا أطلقت رصاصات مدفعي الرشاش
في جسدك الضخم .

تردد (سانشو) لحظة ، ثم سأله في حثي :

— كيف نجحت في الوصول إلى هنا ؟

مط (أدهم) شفتيه ، وقال :

— لقد اضطررت للتخلص من ستة من ذئابك ، وأنا أشتي
طريقي إليك أيها الوغد ، ولقد عارلتني استرخاؤهم . وهم
يظنون أنهم قد تخلصوا مني تمامًا .

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، في حين انتزع
(جولدمان) نفسه من شحوبه ، وذهوله ، ورعبه ، وهو
يقول في ضراعة :

— لا تقتلني يا سيور (أدهم) ، أرجوك ، سأدفع لك

نصف مليون دولار ، في مقابل ..



ثم عاد ينض في شراسة ، وهو يمسخ عبط الدم السائل
من لفه المغطس ..

(٣٢ - رجل المسجل - ذئاب وماء (٥٣))

قاطمه (أدهم) في صرامة :

— صه أيها الوغد ..

وفجأة قفز (سانشو) نحو (أدهم) ، وهو يصرخ في غضب :

— إنك لن تهزمني أيها الشيطان ، حتى وإن عدت من أعماق الجحيم .

كان حجم (سانشو) يفوق حجم (أدهم) كثيرًا ، ولكن (أدهم) كان يفوله مرونةً ، وقوةً ، وكان يمكنه أن يطره برصاصات مدفعه الرشاش ، ولكنه ، ولسبب ما في أعماقه ، كان يريد حيًّا ، لذا فقد ألقي مدفعه الرشاش ، وتلقى (سانشو) بلكمة ساحقة في فكه ، أعقبها بأخرى كالقنبلة في معدته ، ثم ثالثة كالصاعقة في أنفه ..

وترنَّح (سانشو) ، وسقط أرضًا ، ثم عاد ينض في شراسة ، وهو يمسخ عبط الدم السائل من أنفه المغطس ، وهو يقول :

— إذن فأنت تميل إلى القتال اليدوي ، حسنًا أيها الشيطان ، أنا أيضًا أهوى هذا النوع من القتال .

٣٣

وصلت صبيحة (جولدمان) إلى آذان (أدهم) و (مني) ، و (سانشو) ، فهتف الأخير في وحشية ، وهو يتحفز للانقضاض على (أدهم) مرةً أخرى :

— لقد خسرت هذه المرة أيضًا أيها الشيطان .

عقد (أدهم) حاجبه ، وهو يقول في صرامة :

— كلاً أيها الوغد ، فالأمر يختلف هذه المرة .

ثم قفز قفزة قوية وشيقة ، وركل أنف (سانشو) بقدمه اليسرى ، ودار جسده في الهواء ، ليركل فكه بقدمه اليمنى ، قبل أن تستقر قدماه على الأرض ، وتغوص قبضته اليمنى في معدة (سانشو) وتطلق قبضته اليسرى في صدره ، وما أن انحني (سانشو) من فرط الألم ، حتى ضم (أدهم) قبضته ، وهوى على مؤخرة عنقه بضربة صاعقة ، أطلق بعدها (سانشو) حوازا كالنور ، وسقط تحت قدمي (أدهم) جثة هامدة ، وهنا قفز (أدهم) نحو (مني) ، ومزق قيودها بضربة سريعة محكمة من عنبره ، وهو يقول :

— هيا يا (مني) ، سأحتاج إلى تعاونك .

أسرعت (مني) لتلقط مدفعًا رشاشًا ، وهي تسأله في نوالر :

وانطلق نحو (أدهم) في شراسة ، وطوّح بقبضته نحو فكه ، ولكن (أدهم) غاص إلى أسفل في سرعة ومهارة ، متباديًا اللكمة ، ومال جانبًا في رشافة ، ثم انطلقت قبضته في فك (سانشو) ، وانطلقت الأخرى في معدته ، وهو يقول في سخرية :

— أعترف أنك تهوى القتال اليدوي أيها الثور ، ولكنني — لسوء حظك — أحترله .

جلس (جولدمان) يراقب ذلك القتال في دعر وشحوب ، ثم لم يلبث أن تنبّه إلى الفرصة المتاحة له ، في أثناء انشغال (أدهم) و (سانشو) في القتال ، فقفز من مقعده ، وانطلق إلى باب الحجرة ، ومنه إلى الخارج ، وهو يصرخ في انفعال :

— هلموا يا ذئاب الجبال .. لقد عاد الشيطان المصري ، وهما هو ذا ياجم زعيمكم (سانشو) .. هلموا أيها الذئاب . وفجرت صيحاته دهول ذئاب الجبال لحظةً ، ثم انفض كل منهم مدفعه الرشاش ، وانطلقوا النجدة زعيمهم ، وقتل (أدهم) صبري .

٣٤

٣٥

على بعد آلاف الأميال من جبال (الإنديز) ، وفي إدارة
اخبارات العامة المصرية ، كان القلق والتوتر يسيطران على
المكان ، حيث تم عقد اجتماع مصغر ضم مدير اخبارات
العامة ، ونائبه ، و (قدرى) ، وغيره ، للتزوير في الإدارة ،
ليبحث أمر التهديد الذي تلقاه (سانشو) ، والذي أبقى به
السفير المصرى ثوبا ، إلى مقر اخبارات المصرية في القاهرة ،
وكان مدير اخبارات يقول :

— المبلغ نفسه لا يقلقنا ، ف (أدهم) يستحق ما هو أكثر
من مليون دولار ، ولكن من يضمن لنا أن نستعيد (أدهم)
و (منى) ، بعد دفع الفدية ؟

أجاب (قدرى) في قلق واضح :

— يمكننا أن نطالب بتأكيد وجود (أدهم) و (منى) على
قيد الحياة ، قبل أن ندفع دولارا واحدا يا سيدي .

وهنا هفت نائب مدير اخبارات :

— اعتقد أن لدي فكرة مناسبة .

التفت إليه المدير و (قدرى) في اهتمام ، فاستطرد في
القول :

— هل قتله ؟

دفع الباب مقدمه ، ثم أخلقه في إحكام ، وهو يقول :
— إنه يستحق ذلك ، ولكنى لم أفعل ، فأنا أريده حيا ..
إنه فاقد الوعي فحسب .

ولم يكذب عبارته حتى انتهت رصاصات المدافع الرشاشة
على الكوخ ، واشتعل القتال الشرس في أعماق (الإنديز) .



تتمت (منى) في تولر :

— عذا مستحيل .

ثم أردفت :

— ولكن بقاءنا هنا إلى الأبد مستحيل أيضا ، فلن نسمح
لنا هؤلاء الأوغاد بمغادرة المكان أحياء .

التفت (أدهم) إلى (سانشو) ، الفاقد الوعي وسط
كوخه ، وقال :

— ربما لو هددناهم بقتل زعيمهم ..

قاطعه (منى) في تولر :

— لن يضخروا بأنفسهم من أجل أى كائن كان ، حتى
(سانشو) هذا .. لقد عاشتهم طويلا يا (أدهم) ، وأجزم
أنهم أكثر شراسة من الذئاب الحقيقية ، ولن نجد بينهم شهنا
واحدا ، يضخى نفسه من أجل هذا الوحش .

عقد (أدهم) حاجبيه في تفكير عميق ، وهو يهمهم ،
وكأنه يحادث نفسه :

— لاأجد من وسيلة للخروج من هنا .

اختلست (منى) النظر إلى الخارج ، عبر فجوة صغيرة في
جدار الكوخ ، ثم هفت في ذعر :

— من الطيبي أن يرفض (سانشو) هذا إحسان
(أدهم) و (منى) إلى مكان مختاره ، ولكنى لا أظنه
سبحر حش ، إذا ما طلبنا منه اصطحاب أحد رجالنا إلى حيث
يضع (أدهم) و (منى) ، للتأكد من وجودهما على قيد
الحياة ، قبل دفع المبلغ .

عقد المدير حاجبيه ، وقال :

— يمكنه أن يقتل (أدهم) ، بعد انصراف رجلنا .

ساد الصمت مرة أخرى ، ثم همهم (قدرى) :

— أعتقد أنه ليس أمامنا يا سيادة المدير سوى دفع الفدية ،
والنظر النتائج في استسلام .

ثم أردف في حقيق :

— هذا إذا كنا نريد (أدهم) و (منى) حقا .

انتهت رصاصات ذئاب الجبال على كوخ (سانشو)
كالطر ، وهمهم (أدهم) وهو يجذب صمام مدفعه الرشاش :
— من حسن حظنا أن (سانشو) قد حصن كوخه الخشبي
في إحكام ، اتقاء لأي هجوم خاطف ، فسمك أخشاب الكوخ
لن تسمح بمرور الرصاصات ، إلا إذا أصابت عدة رصاصات
القلب نفسه .

— يلبس أديمهم قزروا لفسنا يا (أدهم) ، إنهم يحضرون
مجموعة من القنايل اليدوية
أسرع إليها (أدهم) ، وتطلّع عبر المفجوة لحظة ، ثم
غصم :
— نعم .. إنهم يحملون القنايل اليدوية ، وهذا سلاح
لوحدين .

سأله (منى) لى قلق .

— ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

— أهنئ أن تأخر القنايل اليدوية يعتمد على المنطقة ، التى
تفجر فيها يا (منى) .

ثم حطيم نافذة الكوخ الخشبية الصغيرة بكعب حدائه ،
وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو ذئاب الجبال .

لم تكن رصاصات (أدهم) مجرد طلقات متفرقة ، لقد
حوّلتها مهارته وعقلية المنظمة إلى قنايل متفجرة ، فهو لم يطلق
رصاصة واحدة نحو ذئاب الجبال ، بل أصابت رصاصاته
القنايل اليدوية التى يحملونها ..
وانفجرت القنايل ، وفقرت أجساد الذئاب فى الهواء ،

٤٠

ثم انتقل على (أدهم) ، وطوّق عنقه بذراعه من الخلف ،
وهو جالس فى وحشية :
— إنى يا رجال ، لقد أصيبت الشيطان .. إنى يا رجال .

كان مجموع (سانشو) مباحثا ، عتيقا ، ولكن (أدهم) أدار
ذراعه حول جسده فى سرعة ، وقبض على ياقة قميص
(سانشو) ، وانحنى إلى الأمام ، ليلقى هذا الأخير عن ظهره ، ثم
ركل وجهه فى قوّة ، ودفعه بعيدا عنه ، وقفز ليواصل إطلاق النار
على رجاله ، ولكنه فرحن بفوهات المدافع الرشاشة فى وجهه ،
ورأى (منى) مجرّدة من مدفعها الرشاش ، ترفع ذواحيها فى
استسلام ، وسمعتها تغمغم بصوت آسف ، وبعينين دامعتين :

— لقد فاجأتى مجموعته ، وحياا التفت إلى صراخكما ،
باضى هؤلاء الذئاب ، وجردوني من سلاحى .

شعر (أدهم) بالتحق لحظة ، ولكنه لم يلبث أن استعاد
هدوءه ، وهو يقول :

— لا بأس يا عزيزى ، هذا هو القدر .. لقدّنا .

بهض (سانشو) والعصب يتمازج من عنبه وملاحه ، وعاد
يمسح دماء جراحه بكفه ، وهو يقول فى ثورة :

٤٢

وتحوّل المكان فى لحظة إلى ساحة قتال مشتعلة ، وصرخ أحد
الذئاب فى ذعر :

— أبعدوا القنايل ، أو انقرها على الكوخ ، فهذا الذئب
يستغلها لصالحه

وانطلقت القنايل الباقية نحو الكوخ ، وانفجرت حوله فى
قوة ، وصقط جداره الأيسر ، فصرخت (منى) :

— لقد فقدنا أحد سواترنا يا (أدهم) .

ولكن الجزء الثانى من عبارتها انحضى مع صوت رصاصات
(أدهم) ، حينما قفز إلى الجانب المكشوف من الكوخ ، وأخذ

يطلق رصاصاته فى إصرار ، وقوة ، ومهارة ..
كانا رجلاّ وحياة أمام جيش من الذئاب ، وكان الموقف

لا يوحى أبدا بالنصر ..

واستعاد (سانشو) وعيه وسط المعركة ، وتطلّع بعينين
زائغتين إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين انهمكا فى إطلاق النار

على رجاله ، فلاحظا عن حياهما ، فمسح الدم الذى يقرّث أنفه
وفمه بكفه ، وغصم فى شراسة وخفوت :

— من الخطأ أن ترى عدوك ظهره فى أثناء القتال ، أيها
الخيّاط المصرى

٤١

— سأمرّلكما إربا .. ستدفع لمن تلك الدماء أيها الشيطان
المصرى .

انهم (أدهم) لى سخرية ، وقال :

— اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

صاح (سانشو) فى غضب هائل :

— ستدفع الثمن ، ستدفع الثمن .

ثم أشار إلى رجاله صائحا :

— أعدوا الحقل يا رجال ، سنشعل النيران فيهما الليلة ،
وستأكل الذئاب لحمنا مشويّا لآلئين من المصريين



٤٣

أعاد السيف المصرى لى (يما) قراءة البرقة ، الواردة إليه من القاهرة ، للمرة الثالثة ، ثم تنهّد ، وقال لسكرتيره :
— البرقة صريحة .. لقد وافقوا على دفع الفدية كاملة ،
وهون قيد أو شرط .

عقد السكرتير حاجيه ، وقال :

— هل سندفع مليون دولار لذلك الوغد (سانشو) ؟

مطّ السيف ضغفه ، وقال :

— نعم .. هذا ونقلا .

غمغم السكرتير فى سخط :

— لماذا ما فعله غابريائلا مع ذئاب الجبال ؟

هتف السيف فى صرامة :

— لقد فعل (أدهم صبرى) ما لا يجرؤ على فعله رجل

آخر ، وهو يستحق عشرة ملايين ، لا مليوناً واحداً .

ثم عقد حاجيه ، وهو يردف فى قلق :

— ولكن معرفى القصيرة بهذا الرجل ، تجعلنى أدعو الله
(سبحانه وتعالى) أن أجده حياً ، حينئذ يتسلم (سانشو) الفدية .

ظلّ (أدهم) هادئاً ، وذئاب الجبال يقيّدونه إلى عمود
عشبي قوى ، فى حين ارتجفت (منى) ، وهم يقيّدونها فى
عمود خشبي مجاور ، وإن بذلت جهداً خارقاً للحفاظ على
هدوئها الظاهري ، ولكن رجفة قوية سرّث فى جسدها ،
وامتلاء قلبها بخوف شديد ، حينما بدأ الذئاب يحيطون قاعدة
العمودين بالخطب الجاف ، فتمخضت فى صوت مرعد :

— لم أتصوّر أبداً أن نايانا ستكون على هذا النحو البشع .

أجابها (أدهم) فى حنان :

— تعددت الأسباب والموت واحد يا عزيزتى .

ترقرقت عيناها بالدمع ، وهى تصم .

— ولكن الموت حرقاً أمر بالغ البشاعة يا (أدهم) .

شعر (أدهم) فى تلك اللحظة أنه يكره ذئاب الجبال
كراهية شديدة ..

لم يكن الموت يخيفه ، مهما كانت وسيلة ، ولكنه كان
يشفق على (منى) ، من آلام تلك الميتة الرهيبة ، وتضاعفت
رغبته فى الخلاص ، وحاول الوصول إلى عقدة الحبل الذى
يقيّده بأطراف أصابعه ، فى حين استطردت (منى) فى صوت
باك :

جسدكهما فى لحظات ، وسلقى هما إلى ذئاب وادى الهلاك ،
حتى تظل ذكراك هناك إلى الأبد .

عقد (أدهم) حاجيه لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ،
وقال :

— ذئاب وادى الهلاك أكثر رافة منكم أيا الجيرة .

تألّقت عينا (سانشو) فى وحشية ، وهو يقول فى هجاعة :

— بلا شك أيا الشيطان ، فهى تخشى العبور إلى وكرنا ،

مهما عشتها الجوع

ثم مال نحو (أدهم) ، وسأله فى سخرية :

— هل هناك ما تريد قوله قبل أن أشعل ليك النيران أيا

الشيطان ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء .

— نعم أيا الجربوع .

صغط (سانشو) أسنانه فى غضب ، وقال :

— ماذا تريد أن تقول ؟

ثم التفت عيناها دهشة ، وانتقلت دهشة إلى الجميع ، حينما

رفع (أدهم) رأسه إلى أعلى ، وأطلق عواءً قويا ، كأنه ينادى بالذئاب .

من عزائى الوثيقة أننا سمعنا عقاباً يا (أدهم) .. لقد
تجنّبت ظلك طيلة عمري .

• أطلق (جولدمان) ، الذى القرب منهما ، ضحكة
ساحرة ، وقال :

— يا له من حوار شاعري ، فى اللحظات الأخيرة !

خدجته (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— كم سعدنى أن أضع عنقك أيا الوغد .

عاد (جولدمان) يطلق ضحكته الساحرة ، ويقول .

— اهل ذلك حينما نلتقى فى الجحيم ، أيها الشيطان

المصرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— من يذرى ؟ .. ربما التقينا قبل ذلك أيا الوغد .

القرب (سانشو) منهما ، وقال فى جدّة :

— ماذا يقول هذا الشيطان يا سنور (جولدمان) ؟

أعجزه (جولدمان) عن حديثهما ، فابتسم (سانشو) فى

سخرية ، وقال :

— إن جعيتك أقرب مما تتصوّر أيا الشيطان المصرى ،

ستشقى النار فى أكوام الخطب هذه ، وستشوى النار



واقرب بينهما (سانشو) في هذه اللحظة .
وهو يحمل العنن المشتعل ..

مرّت لحظة من الصمت والذهول ، والجميع يحتلون في وجه (أدهم) ، الذي أطلق هواءه مرّة أخرى ، ثم أدار صفيه لي وجوههم بسخرية ، فهتف (جولدمان) :
— لقد جنّ .. أراهن أنه فقد عقله ، لا ريب أن فكرة الموت حرقاً قد أطارت صوابه .

ظلّ (سانشو) يملّق في وجه (أدهم) لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يهمهم :
— ينبغي ألا ندعه ينتظر طويلاً .

وتحرّك في هدوء نحو بعض الأغصان المشتعلة بالنيران ، والتقط أحدها ، في نفس اللحظة التي سألت فيها (مى) (أدهم) في دهشة :

— لمّ فعلت ذلك يا (أدهم) ؟

ابسم في هدوء ، وهو يقول :

— إنه نداء الموت يا عزيزي .

هتفت في دهشة

— نداء الموت ؟ .. ماذا أصابك يا (أدهم) ؟

اقرب مبهما (سانشو) في هذه اللحظة ، وهو يحمل الفصن المشتعل ، وقال وهو يلوح به في وجه (أدهم)

٤٨

٧ — أنياب الذئاب ..

أثار انقراض الذئاب الحيوانية ذعراً هائلاً وسط ذئاب الجبال ، وانعرت أنياب الذئاب في عشرات الأعناق ، وسالت الدماء أنهاراً ، ونجح بعض رجال (سانشو) في التقاط مداخلهم الرخاسة ، وأخذوا يطبقون رصاصاتها على الذئاب في رعب ..

ووسط كل هذه المصعة ، صرخ (سانشو) في وجه (أدهم) :

— أنت الذي فعل هذا .. لست أدري كيف بحق الشيطان ، ولكنك فعلته ، وسأشعل النيران في جسدك ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي و ..

وفجأة تحرّز (أدهم) من قيوده ، بعد أن نجح في حل وثاقه ببراعة بحسده عليها (هوديني) نفسه^(٥) . وهزت قبضته على فك (سانشو) كالقبلة ، وألقته به على بعد ثلاثة أمتار إلى الخلف ، وهو في ذهول شديد ، ولم يكذب ينهض حتى انقضت قبضة (أدهم) على فكّه مرّة أخرى ، وثالثة ، ورابعة ، فسقط

— وداعاً أيها الشيطان المصري ، ماصنع منك شيطاناً حقيقياً ، حيناً أشعل الجحيم في ساقيك .

ولفجأة تردّد في المكان صوت عواء قوي ، ولكن (أدهم) لم يكن صاحبه هذه المرّة ، بل كان مصدره نقطة ما وسط أشجار الغابة الكثيفة ، التي تحيط بؤكر ذئاب الجبال ، وجاوبه (أدهم) بعواء مماثل ، أثار دهشة الجميع ، فهتف (سانشو) في غضب :

— ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

لم يكذب يوم عبارة ، حتى ترددت عشرات الزعجرات الحيوانية من أعماق الغابة ، واتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— لقد حانت لحظة انجبار قوّتكم يا ذئاب الجبال وإثر صيحة قوية من حلق (أدهم) ، انطلقت عشرات من الذئاب الخيلية من وسط الغابة ، وانقضت على ذئاب الجبال ..

كانت معركة مرعبة ، بين الحيوان والإنسان

(٥) (هوديني) : ساحر مشهور ، اشتهر بقدرته على التخلص من أصعب القيود ، في النصف الأول من القرن العشرين

زعم ذئاب الجبال فاقد الوعي ، دون أن يشعر به أى من رجاله ، وسط معركتهم مع أياب الذئاب .
لم يشعر به سوى (جولدمان) ، الذى جمعت عيناه دُعرًا ، وهتف فى ذهول :
— هذا مستحيل !!

ثم التقط غصنًا مشتعلاً ، وجرى به نحو (منى) ، المقيدة فى العمود الخشبي ، وهو يتف فى جنون .
— مشتعل الثيران .. مشتعل .
وأطلقت (منى) صرخة مدوية ، وقد بدا لها الموت حرقًا على قدم خطوة واحدة منها .

وسط صرخات الرجال ، وزججرة الذئاب ، وطلقات المدافع الرشاشة ، لم يسمح (أدهم) سوى صرخة (منى) ، فانضت إليها فى جذوة ، ورأى (جولدمان) يسرع نحوها ، والفصن المشتعل فى يده .

ولى حركة سريعة للغاية ، التقط (أدهم) الخنجر المثبت فى عنق حذاء (سانشو) ، وألقى به فى إحكام وبراعة ، فى نفس اللحظة التى انحنى فيها (جولدمان) ، ليشعل الخطب الجاف عند قاعدة العمود الخشبي ، الذى قيّدت إليه (منى) .

٥٢

وشلّ الخنجر الهواء فى قوة ، ثم انخرق عنق (جولدمان) من الجانب الأيمن ، وبرز نصله من جانب عنقه الأسفل ، وجعلت عيناه (جولدمان) ، وترنح فى ذهول وألم ، ثم سقط جثة هامدة ، وسقط الفصن المشتعل فوقه ، فاشتعلت ثيابه ، وتحوّل فى لحظات إلى شعلة من الثيران ..
وقفز (أدهم) إلى (منى) ، وحلّ وثاقها بسرعة ، وهو يقول :

— هيا بنا يا عزيزتى ، لقد تأجلت لحظة الليلة .
تملّقت بذراعه ، وهى تهتف فى سعادة :
— لقد كنت رائعا .. لم أكن أعلم أنك تحيد لغة الذئاب أيتها .

ابسم (أدهم) ، وهو يجذبها قائلًا :
— هيا يا عزيزتى .. سنبعد عن هنا ، قبل أن تنسى الممركة .

أسرعا نحو الغابة الخلفية ، ثم تولّف (أدهم) ، وقال فى حزم :

— لحظة يا عزيزتى .. هناك أمر لابد أن أفعله أولاً .
والسعت عنها دهشة ، حينما عرفت هذا الأمر .

٥٣

عادت فوهات المدافع الرشاشة ترتفع ، وانطلقت ذئاب الجبال تبحث عن (أدهم) و (منى) فى شراسة ، حتى أحيهم البحث ، فهتف أحدهم لى سخط :
— هل ستركما يفران ؟

وهنا عقد آخر حاجبه ، وقال فى قلق :
— أين (سانشو) ؟

نهت عبارته الجميع إلى إخطاء زعيمهم ، فانطلقوا يبحثون عنه فى كل صوب ، ثم لم يلبثوا أن اجتمعوا فى منتصف الوكر ، وقال أحدهم فى تولّر ، وهو يوجّه حديثه إلى شاب منهم ، مقول العشرات ، بمقد الشعر ، له شارب كث :

— لا أثر لـ (سانشو) فى أى مكان يا (جارسيا) .. لقد بحثت بين الجثث وفى كل مكان ، ولم أعر على أدنى أثر له .
عقد (جارسيا) حاجبه ، وقال :

— لا يوجد سوى تفسير واحد يا رجال .
تطلّع إليه الجميع فى مزج من القلق والتساؤل ، فأردف فى لهجة حاسمة :

— لقد اصططحه الشيطان المصرى منه .. بالقوة .

٥٤

استغرقت الممركة بين ذئاب (سانشو) ، وذئاب مملكة الحيوان وقتًا قصيرًا ، أبقت الذئاب خلاله من صعوبة مواجهة الأسلحة النارية . فأطلق زعيمها عواء قويًا ، وانطلق عائداً إلى الغابة ، وبعده بالى القطيع ، الذى لم يلبث أن اختفى وسط الأخشاب المشابكة ، وإن ظل رجال (سانشو) يطلقون مدافعهم الرشاشة لحظات ، قبل أن ترتفع أصابعهم عن أرضها ، ويسود الصمت التام فى وكر الذئاب ..
كان المكان يبدو غريبًا ، وهو يتنق بعشرات من جثث الذئاب ، والرجال ، وتسيل فيه الدماء أنهارًا ، حتى أن البقية من رجال (سانشو) ارتجفوا فى تولّر وخوف ، وهم يتنقلون إلى بحيرة الدماء ، التى تخوض فيها أقدامهم ، قبل أن يتف أحدهم فى خفق :

— كيف فعل ذلك الشيطان هذا ؟

زفر آخر فى حق ، وقال :
— إننى لم أر مثل ذلك فى حياتى كلها .. لقد بدا الأمر أشبه بالروايات الخيالية .

وفجأة هتف ثالث :

— يا للشيطان !! .. لقد قرّ المصرى وزميلته .

٥٤

مرت همهمة غاضبة بين الصوف ، فاستطرد (جارسيا)
في حماس :
— ولكننا سنستعيد زعيمنا يا رجال .. سنستعيده مهما
كان الثمن .

★ ★ ★

استاد (سانشو) وعيه في بطنه ، وشعر بالقبود المحكمة ،
التي تقيد مصميه في قوة ، وتناهي إلى سمعه صوت (مني) ،
وهي تقول له (أدهم) في خفي :
— مازلت لا أفهم لماذا تصطبب ذلك الحزير ممنا ، ونحن
نسعى للهرب .. إنه سيهوى طريقنا ، ويجعل رحلتنا أكثر
خطورة .

أجابا (أدهم) في هدوء :

— هذا الحزير أعطر الذئاب يا (مني) ، وأكثرها ذكاء
روحانية ، ووجوده معنا ، وأمام عيوننا ، يجعلنا في وضع أكثر
أماناً ، من أن يسعى رجاله خلفنا تحت قيادته .
هزّت (مني) كفتها ، وقالت :
— مازلت أصغر على خطر اصطحابه .
فصح (سانشو) عليه ، وقال في برود :

٥٦

— استمع إليا أيها الشيطان ، فهي على حق .
عقدت (مني) حاجبها ، وهي تلفت إليه في خفي ، في
حين تطّلع إليه (أدهم) في سخرية ، وقال :
— مالا أظنك شفيك حفاظاً على أسنانك أيها الوغد .
عريد الغضب على وجه (سانشو) ، وقال في جدّة :
— أنت مغرور عتيد أيها الشيطان ، وجودي معك سيدفع
رجالي كلهم لمطاردتك في شراسة ، وسيكون على رأسهم
تلميذي (جارسيا) ، الذي سيضيق الحناق حولك ، حتى
يقتلك ، أو تستسلم له .

همهم (أدهم) في سخرية :

— هل سيغاطر يقتل أستاذي ، وزعيمه ؟

عقد (سانشو) حاجبها ، وهو يقول في شراسة :

— إنه لن يتردّد في قتل ، إذا ما كانت هذه هي الوسيلة
الوحيدة لهزيعك ، ولقد لقيته أنا هذا الدرس ، وهو تلميذ نجيب .

صمت (أدهم) لحظة ، تبادل فيها نظرات التحدي مع
(سانشو) ، ثم قال :

— ستكون هناك وسيلة للفرار ، دون مواجهة رجالك ،
ولا شك .

٥٧

— ولكن يا (أدهم) ..
عاد بقاطعها ، قائلاً :
— لا فارق يا عزيزي .. كل الطرق تقود إلى نهاية
واحدة .
واستمع استماعة شاحبة ، وهو يردف في هدوء :
— الموت .

★ ★ ★



٥٩

هتف (سانشو) في سخرية :
— هذا مستحيل أيها الشيطان ، فلا يوجد دخول أو
خروج من وكرنا — سوى طريقين ، إما عبر وادي الهلاك ،
أو (الطريق إلى الجميع) ، ولن يمكنك التهام الأول ، لأن
موقنا هذا يجعل رجالي يحولون بينك وبينه ، ثم إنك لن تنجح
في عبور قوّة الموت ، وأنا أسيرك ، أما (الطريق إلى
الجميع) ، فهو ممر صيق بين جبلين ، زرعت أرضه بالأفلام ،
ويقوم على حراسه عشرة من رجالي بمدافعهم الرشاشة ، ولن
يتمكنك اجتيازه أبداً .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— شكراً أيها الوغد .. لقد أخبرتني ما كان ينقصني من
معلومات .

عقد (سانشو) حاجبها في دهشة وغضب ، في حين هتفت
(مني) :

— ماذا تعني يا (أدهم) ؟ .. هل ستذهب إلى .. ؟
جفّ الدم في عروقها ، حيناً فاطعها ، قائلاً في هدوء :
— ستخذل الطريق إلى الجميع يا عزيزي .
هتفت في تولّر :

٥٨

واصمت ابصامه ، وهو يردف في حراسة :
— سيق الشيطان المصري بين شقي الرُحى .

الصمت (منى) فؤة مسلما برأس (سانشو) ،
لتجبره على التزام الصمت ، في حين اعطى (أدهم) خلف
أكمة متشابكة الأغصان ، يتطلع في تركيز واهتمام إلى الممر ،
الذي يطلق عليه ذئاب الجبال اسم (الطريق إلى الجمجم) ..
وحضت دقيقة كاملة ، قبل أن يلتفت (أدهم) إلى
(منى) ، ويقول :

— إنهم عشرة رجال بالفعل ، يخفون خلف دروع من
الخشب السميك ، مثل تلك التي أقام منها الوغد كوخه .
غمغم (سانشو) في سخط :
— لن يمكنك عبور (الطريق إلى الجمجم) إلا بحة هامة
أشار إليه (أدهم) بيده ، وقال في صرامة :
— اصمت أيها الوغد .

ثم قال لـ (منى) :
— ينبغي أن تجد خطة للعبور بسرعة يا (منى) ، وإلا
أصبحنا محاصرين بين رجال (سانشو) ، وهؤلاء الذين
يقومون على حراسة الممر .

٦١

غمزت الشمس منطقة جبال (الإنديز) بضوئها ،
وحرارها ، في منتصف النهار ، وجف الرجال عرقهم
الغزير ، وزغروا في تعب وتوكل ، قبل أن يلتفت أحدهم إلى
(جارسيا) ، ويسأله في قلق :
— هل أنت والتق أن الشيطان المصري ، سيخذل ذلك
الطريق يا (جارسيا) ؟

أوماً (جارسيا) برأيه إجاباً ، وقال :
— لن يكون أمامه سوى ذلك ، فلقد هرب في أثناء قتالنا
مع قطع الذئاب ، وكنا نحن والذئاب نسد عليه الطريق المؤدية
إلى وادي الهلاك ، فليس أمامه إذن إلا اتخاذ (الطريق إلى
الجمجم) .

مط الرجل شفتيه ، وغمغم :
— يبدو أنه لا يعلم ما ينتظره هناك
اجسم (جارسيا) في ثقة ، وقال :
— إنه الجمجم يبعه يا رجل ، سينظره رجالنا عند الممر ،
بعد أن أبلغناهم لاسلكياً ، وسنطبق نحن عليه من الخلف ،
وننفيه وصاحاتنا .

٦٢



الصمت (منى) فؤة مسلما برأس (سانشو) ،
لتجبره على التزام الصمت ..

ماك (منى) في قلق .
— هل لديك خطة معينة ؟
عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم في تفكير :
— لاأبد من وجود منفذ ما يا (منى) ، فمن المستحيل
أن

ير حاربه فجأة ، وتألقت عيناه في فؤة ، ثم جذب إليه
(سانشو) في جذة مباحة ، وقال في صرامة :
— لاأبد أن هناك وسيلة ما لعبور الممر ، وتفادى الألغام
أيها الوغد ، كما يحدث في المناطق المغمومة في أثناء الحروب ،
وإلا لما تمكن ذئاب الجبال أنفسهم من اجتياز هذا الطريق
توجد خريطة للألغام ، أليس كذلك ؟

جف لعاب (سانشو) أمام صرامة (أدهم) اغنية ،
ولكنه أجبر نفسه على الانصات في سحرية ، وهو يقول :
— ينبغي أن نتخلص من حراس الممر أولاً أيها الشيطان
غمغمت (منى) :

— وسريفاً ، قبل أن يطبق علينا رجال (سانشو) من
الجانب الآخر
عاد (أدهم) يعتقد حاجبيه مفكراً ، ثم قال في فجأة حافة
حارمة :

٦٣

— هناك وسيلة وحيدة لإنهاء الأمر بسرعة يا (منى) ..
وصوب مدفعه الرشاش في هدوء إلى التحصينات الخشبية
السميكة ، التي يغطي خلفها رجال (سانشو) ، ولعل أنه
يضغط الزناد ، ارتفع زفير قوي ، التفت الجميع إلى مصدره
في حركة حاذية ، فطالعهم حيوان ضخم ، يشبه الهر في
مظهره ، والمهد في حجمه ، وكان يتطلع إليهم في تحفز ،
وأنيابه الحادة الطويلة تنعكس مع ضوء الشمس ..
كان همه (أسد الجبال) ..

صغمت (منى) في توثر ، وهي تحذق في الوحش
المفترس ، الذي يتحفر للانقضاض عليهم :
— أطلق النار عليه يا (أدهم) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في هدوء :
— من الخطأ أن أعلن عن وجودنا بإطلاق الرصاص
يا (منى) ، وإلا ضاع منا عنصر المفاجأة .
قال هذا واسلّ عنقه حذائه ، وشهره في وجه
أسد الجبال ، فغمغم (سانشو) في مرجع من الحق والذهول :
— ماذا سيفعل ؟ .. هل سيقاتل أسدا جليلا بمنجبر ؟

٩٤

ولفجأة ، ومع آخر حروف كلماته وثب الأسد الجبل ،
وانقض على خصمه ، ورفع (أدهم) خنجره في وجهه ، ثم
اشتبك مع الأسد في قتال عنيف ..
كان أسد الجبال شرسا قويا ، يحاول تخريب خصمه بمخالبه
الحادة ، أو غرس أنيابه الطويلة في عنقه ، ولكن (أدهم)
غرس خنجره في معدة الأسد الجبل ، بكل ما يملك من قوة ،
ودفع نصله إلى أعلى ، فشتت بطن الأسد ، الذي زار إلى ألم
وخضب ، ومزق سرة (أدهم) بمخالبه ، وحاول معاودة
الهجوم ، عن الرغم من أحواله المتدلية ، ولكن (أدهم) لم
يمنعه فرصة ثانية ، فقفز فوق ظهره ، وأغمد خنجره في عنقه ،
ودبحه كالنجاح ..

كان المشهد مذهلا بالنسبة لـ (سانشو) ، ولكنه شعر أنها
فرصة مثالية للفرار ، وإنذار رجاله ، فدفع (منى) لفجأة ،
بمرفقه ، وانطلق يمدو نحو الممر ، وهو يصرخ في انفعال :
— النجدة يا رجال !! أنا زعيمكم .. أنا (سانشو) ..
اقتلوا الشيطان المصري .. وكأنها كانت صرخته لهذا ألبس
تراشق النيران ، فقد أطلق الرجال العشرة ، انهمون خلف
السواتر الخشبية السميكة ، نيران مدافعهم الرشاشة ، نحو
المنطقة التي يختبئ فيها (أدهم) و (منى) ..

٩٥

(م) — رجل المستحيل — ثلاث وثمان (٥٣)

وارتفعت صرخة أحد الحراس ، وسقط من مكانه
مجدلا ، وبمه لآن ، وثالث ، فصاحت (منى) في دهشة :
— كيف أمكنت إصابتهم خلف السواتر الخشبية
السميكة ؟

ابتسم ، وهو يقول في هدوء :

— نفس المبدأ يا عزيزي .. عدة رصاصات في الثقب
ذاته .

سقطت فكها السفلى في ذهول ، وهي تبهت :

— ولكن هذا ، هذا مستحيل .

هز كتفيه في لامبالاة ، وعاد يطلق رصاصاته بتلك الدقة
المذهلة ، التي جعلت (سانشو) يصرخ في ذهول :
— هذا مستحيل !! تلك الألواح اسلك من أن تخترقها
رصاصات مدفع رشاش .

هتف أحد رجاله الخمسة الباقين في ذهول :

— ولكن هذا الشيطان فعلها . لقد أسقط نصفنا في خمس
دقائق .

عقد (سانشو) حاجبيه في غضب ، وقال :

— فلندهب الألواح ورصاصات المدافع الرشاشة إلى

٩٧

تاهت أصوات الرصاصات إلى مسامع (جارسيا)
ورجاله ، لصاح في انفعال :

— أسرعوا يا رجال ، لقد بدأ القتال في الطريق إلى
البحر ، ونست أحب أن نضع لحظة واحدة منه .

لنأر (أدهم) و (منى) ، فقد احصيا خلف جذع شجرة
كبيرة ، في الوقت الذي انهارت فيه رصاصات حراس الممر
كالطر ، وهبت (منى) :

— هذا الخنزير أفسد الخطة كلها .

أجابها (أدهم) في هدوء ، وهو يكتس النظر إلى الممر .

— لم يضع كل شيء بعد يا (منى) .

ثم أورد في اهتمام :

— إنهم عشرة رجال ، وكل منهم يختبئ خلف حاجز من

الأواح الخشب السميكة ، ويطلق النار عبر قلب خاص في
الألواح ، ولكن ..

صاقت عيناه ، وهو يحذق في الألواح الخشبية باهتمام ، ثم

ابتسم في هدوء ، وغمغم :

— أعتقد أن هؤلاء الحراس سيتلقون مفاجأة مذهلة

يا عزيزي ..

وفي هدوء ، صوب مدفعه الرشاش ، وأطلقه ..

٩٦

انفجرت القنابل الخمسة في هوى هائل ، لم يلبث أن تحولت إلى مكرون رهيب ، لم يقطع إلا صوت (سانشو) ، وهو يهمهم :

— هل .. هل انتي كل شيء ؟

ثم أحد رجاله في خيرة :

— لقد كان يطلق الرصاص حتى اللحظة الأخيرة ، ولن يمكنه الفرار و .

بهر الرجل عبارته في عطوت ، وكأنها يعجزه الشك عن إتمامها ، فهتف (سانشو) :

— دعونا نرى يا رجال .. لن أتق في مصرع هذا الشيطان ، ما لم أر أشلاءه بنفسى ..

تقدم الرجال الخمسة في حلو ، وهم يشهرون مدافعهم الرشاشة ، وتجههم (سانشو) وهو يقدم رجلاً ، ويؤخر أخرى ، حتى أصبحوا عند المنطقة المنفجرة ، فبحقوا أرجالها باهتمام ولقى ، قبل أن يهمهم أحدهم :

— لقد تلاصقا .. لا يوجد أدنى أثر لهما .. هل نسلهما الانفجار ثماناً ؟

الجحيم .. متدسف هذا الشيطان نسفاً .. سفعوه بالقنابل اليدوية .

تحلى الرجال الخمسة من سواترهم الخشبية ، وأسرعوا إلى كهف صغير ، انزعوا منه صندوقاً خشبياً ، يحلّق بالقنابل اليدوية ، وحل كل منهم قبلة ، وهتف بهم (سانشو) :

— ألقوا قنابلكم يا رجال .. أريد أن أجمع بقايا هذا الشيطان المصري بملقط صغير .

وألقى الرجال الخمسة قنابلهم في صائح سقن ، وتحولت المنطقة التي يحضن فيها (أدهم) و (منى) إلى أشلاء ..

★ ★ ★



صاح آخر في لفة :

— لقد عثرت على المدفع الرشاش .

أسرع (سانشو) ، والرجال الأربعة الآخرون إليه ، واختطف (سانشو) للمدفع الرشاش في لفة ، وهتف في ظفر : هذا دليل كاف .. لقد قتلتهما الانفجار .

أشار أحد رجاله إلى خيط من النابول ، يتدلّى من زناد المدفع الرشاش ، وسأله في خيرة :

— ما هذا ؟

استبست عينا (سانشو) في مزيج من الذعر والدمعة ، وهو يحدّق في الخيط ، وهتف في رعب :

— يا للشيطان !! .. إنها نفس الحديقة القديمة ، لقد كان يطلق المدفع الرشاش من بعيد .. إنه .. إنه .

قاطعه صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول : — إننى لم أمت .. هذا صحيح أيها الوغد .

★ ★ ★

استدار (سانشو) ورجاله الخمسة إلى مصدر الصوت ، لظالمهم وجه (أدهم) الساخر ، ووجه (منى) الصارم ، وهما يصويان إليهم مدفعين رشاشين ، فاستقرن وجه (سانشو) خفياً ، وهو يقول :

— أى شيطان أنت ؟

هزّ (أدهم) كفيه في استهزاء ، وقال :

— أنت صاحب فكرة إلقاء القنابل أيها الوغد ، وكل ما فعلته أنا هو حسن استغلال خطئك أنت .

ثم اتبسم في سخرية ، وأردف :

— لقد كنتم تسدون الممر الوحيد ، الذى يقودنا إلى الحرية ، ولقد أردت إبدال الأدوار ، وهأنتم أولاء تقفون وسط الأدغال ، في حين تسيطر أنا وزميلتى على مدخل الممر .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (سانشو) فجأة :

— صوبوا أسلحتكم إليه يا رجال .

رفع الخمسة فوهات مدافعهم الرشاشة في سرعة نحو (أدهم) و (منى) ، ولكن أيضاً من رصاصات مدفع (أدهم) الرشاش ، ألقى المدافع الرشاشة الخمسة بعيداً ، وجعل أصحابها يراجمون في دعر وذهول ، قبل أن يحط هو شفته ، ويقول متكهّماً :

— ماذا أصابك أيها الوغد ؟ .. حتى الحمار يتعلم بالتجربة والحظ .

عاد وجه (سانشو) يحسّن في غضب ، في حين استطرد (أدهم) في صرامة ، وهو يشير إليه ، وإلى رجاله :

— هيا آيا الأوغاد .. مستخدمونا عبر الطريق إلى الجحيم ،
فأنتم تعرفون الطريق الآمن من الألفام .
تردد الرجال الخمسة لحظة ، ولكن صياحة صاروخ من
(أدهم) جعلتهم يتقدمون في راسي الأذرع ، وعملهم
(سانشو) ، الذي غمغم في حلق :
— مازال الطريق أمامك طويلاً أنها الشيطان .. إنك لم
تتصر بعد .

اجسم (أدهم) في سخرية ، وقال :
— تقدم في صمت ، وإلا أطلقت النار على مؤخرتك آيا
الخير .

وفجأة ذوى صوت طلقات نارية ، على بعد نصف
كيلو متر خلف (أدهم) ، وارتفع صوت عبر مكبر صوت
يقول :

— اصعدوا يا رفاق ، نحن في الطريق إليكم .. هنا
(جارسيا) عن رأس طريق المطاردة .. أكثر .. نحن في الطريق
إليكم .

ألصقت الكلمات نفس (سانشو) ، وودت إليه أبل
التصر ، فلفز نحو (أدهم) في وحشية ، ريقو يهيف :



— أدهم فقد أصيب انفصامه (سانشو) بكلمة
ساحقة واحدة عن طريقه

— اجمعوا يا رجال ، لقد وصل (جارسيا) .

وانقض الرجال الخمسة على (أدهم) و (سني) ..

على الرغم من مفاجأة الانقضاض ، إلا أن القنريات
المكثفة ، التي يتلقاها رجال المخابرات ، تجعلهم قادرين على
الاستجابة السريعة ، مهما بلغت شدة المفاجأة ..

ولقد تحرّكت (سني) في سرعة ، فأطلقت رصاصات
مدفعها الرشاش على أقرب المهاجمين إليها ، قبل أن يطيح الثاني
ببلاحتها ، ويطلقها بذراعيه في قوة ، أما (أدهم) فقد
استقبل المضاضة (سانشو) بكلمة ساحقة ، أذاعه عن
طريقه ، ثم انحنى يطأدى لكمة رجل آخر ، ولفز فجاءوا لكمة
ثاني ، ودار حول نفسه في الهواء .. وركل وجه أحد الرجال ،
ثم هبط على قدميه ، وحطم أنف الثاني ، وهشم فك الثالث
بلكمته متعاليين ، أودعها كل قوته وإصراره ، في حين
غاصت (سني) بمرفقها في معدة الرابع ، وأحنت رأسها
لسمح لقبضة (أدهم) بكسر أسنانه ، وضمت إلى رفاقه ،
الذين سقطوا فاقدى الوحي ..

وعلى الرغم من ضخامة جسد (سانشو) ، إلا أن

(أدهم) التزمه من سقطته بذراع فولاذية ، وأجبره على
الوقوف ، وهو يقول في صرامة وغضب :

— لقد أصبحت لدينا الوحيد آيا الشر ، وستقودنا عبر
الطريق إلى الجحيم ، وإلا قطعت أطرافك قطعة قطعة .
قال هذا ، ودفع (سانشو) أمامه في قوة إلى بداية المعركة ،
فهمل زعيم الذئاب في حلق :

— لا تحاول .. لن أصبح لك بالفرار أبداً .

دفعه (أدهم) في قوة ، وقال :

— حسناً .. سأجبرك على عبور الممر ، وسنكتفى بتج
خطواتك .

كانت دفعات (أدهم) القوية تجبر (سانشو) على الخنسي
عبر الممر ، وكان يلفز إلى النفاط التي لا تحصى الغاماً ، خوفاً
من أن يخطئ خطوة واحدة ، فيمحزول إلى أضواء متائرة ،
وكان (أدهم) و (سني) يتبعان خطواته في حذر ، حتى عاد
صوت (جارسيا) يرتفع .. عبر مكبر الصوت :

— منتظم إليكم بعد لحظات يا رفاق .. اصعدوا .

وغمغم (سانشو) في توكر :

— سيطلقون بنا قبل أن نعب الممر ، وسيطلقون النار
عليكما بلا رحمة .

أوقفه (أدهم) فجأة في حدة ، والفت إلى (منى) ،
لأنه .

— صوّى مدسك إلى رأس هذا الخنزير يا (منى) ،
وأطلق النار بلا رحمة ، إذا ما بدت منه أية محاولة للفرار .
صوّت (منى) مدسها إلى رأس (سانشو) ، وسألت
(أدهم) في قلق :

— ماذا تنوي أن تفعل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— تقدّمي أنت عبر الممرّ يا (منى) ، وسأحاول أنا إيقاف
القادمين .

حدثت تسأله في عناد وقلق :

— ولكن كيف ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

— سأنتظر وصولهم إلى الممرّ ، ثم أطلق النار على الأنعام
المدفونة فيه ..

وابهم في سخرية ، وهو يردف :

— سأقلب وسألقم الدفاعية على رؤوسهم كالعادة
يا خنزيري .

★ ★ ★

٧٦

تحرك (سانشو) عبر الممرّ في حلق ، و (منى) تبع
خطواته ، ومدسها مصوّب إلى رأسه ، وغمغم هو في
سخط .

— لن ينجح زميلك أبدا الفاعة

عقدت (منى) حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— لقد أصبح فورك هذا مكرّراً سخيفاً أبداً الخنزير .

قال (سانشو) في هدوء أدهشها :

— هل تعلمين أن ذخيرة مدفعه الرشاش قد قاربت على

النفاذ ؟ .. وأنه لا يملك ذخيرة إضافية ؟

أجابته في حدة .

— لا بدع هذا يشعلك ، سيلغى (أدهم) النظام الآلي

للمدفع الرشاش ، وسيحوّله إلى يدوية ، تطلق رصاصاتها

واحدة بعد الأخرى ، وستكون لديه — حينئذ — عشر

رصاصات ، وهي تكفيه .

غمغم (سانشو) في صوت أقرب إلى السخرية :

— إنها لن تكفيه .

قالت في غلظة :

— تذكر أن كل واحدة منها ستحوّل إلى قنبلة ، حينما

تصيب اللغم .

٧٧

١٠ — الانفجار ..

كان (أدهم) يتوقع انفجاراً قريباً ، حينما أطلق رصاصته
الأولى نحو النقطة ، التي توقّع وجود اللغم فيها ، ولكن
الرصاصة لم تسفر إلا عن دويّ متردد في أنحاء الممرّ ، وصوت
أرطام معدني بسطح اللغم ، وإعلان عن وجود (أدهم) ..
وقفز (جارسيا) مخفياً خلف أحد الصخور .. وصاح في
رجاله :

— اختبئوا يا رجال ، وأطلقوا النار ، لقد نجح الشيطان

في إحصال الطريق إلى الجحيم .

أخذ الذئاب يطلقون رصاصاتهم نحو الصخرة التي يحمي

خليلها (أدهم) ، في حين غمغم هو في سخط :

— اللعنة !! هذه الأنعام لن تنفجر بإطلاق رصاصاتي .

ثم استورد في حلق :

— يا له من موقف !! أقل من عشر رصاصات في مواجهة

خمسين رجلاً ، وفي منطقة منبسطة ، يصعب المدور فيها ، دون

أن يصاب المرء بعشر رصاصات على الأقل .

كان صوت الرصاصات التي ترتطم بالصخرة ، التي يحمي

٧٩

أطلق (سانشو) مدسكة ماسخرة خائفة ، وقال :

— هذا ما أريد قوله يا فتاتي ، فلك الأنعام لن تنفجر إذا

ما أطلق عليها النار ، إنها معدة للانفجار تحت تأثير النقل المباشر

فحسب .

توقّلت (منى) بضّة ، وحسب وجهها في توقّر ، وهي

تغمغم في جزع :

— يا إلهي !! .. (أدهم) .

وفي نفس اللحظة التي نطقت فيها بمبارتها المتعانة ، كان

(أدهم) مصوّب سلاحه إلى أحد الأماكن ، التي تماشاها

(سانشو) ، وينظر حتى تعبر ذئاب الجبال ، ثم يطلق النار ..

★ ★ ★



٧٨

خلفها ، غريباً مزعجاً ، ولكنه استرخى في هدوء ، وهو يقول لنفسه :

— أهي النهاية يا (أدهم) ، .. أم أنه هناك وسيلة للفرار ؟

وفجأة تألفت عيناه ، وهتف في الحال :

— بالطبع هناك وسيلة للفرار .

وأطلق عليه في قوة ، وهو يحاول استعادة مشهد ما في

ذاكرته ، ثم انبسم في سخرية ، وقال :

— سيحدث الانفجار ، حتى وإن رفضت الألفام أيما

الأوغاد .

ثم برز من خلف الصخرة فجأة ، وأطلق كل الرصاصات

الباقية في مدلهه الرخاش ، نحو نقطة واحدة ، حادثة ذاكرته

مسبقاً ..

كانت براعة نافذة من (أدهم) ، أن يختار هذا الهدف

بالمذاق ..

لقد استادت ذاكرته مشهد حُرَّاس الممر الخمسة : وهم

يخرجون الصندوق الخشبي ، المعلق بالقنايل اليدوية ، من

الكهف الصغير ، واختار هذا الصندوق هدفًا لرصاصاته ..

٨٠

وأصاب الرصاصات هدفها في براعة ، وانفجرت القنايل اليدوية ..

انفجرت انفجاراً هائلاً ، ترَّدَّ صدها في جبال (الإنديز)

كلها ، وأبهارت له الصخور من جيات الممر ، ولم تكذب تساقط

فريق الألفام المزروعة في باطنه ، حتى انفجرت بدورها ،

واستحقَّ الممر عن جدارة اسم (الطريق إلى الجحيم) .

وتصلبت (مبي) مع دوى الانفجار الهائل ، وارتجفت

أطرافها ، وهي تبتف في جوع .

— ربَّاه !! .. (أدهم) ؟ !

وفجأة انقضَّ (سانشو) بجسده الضخم على جسدها

الضئيل ، وأطاح بجسدها بضربة قوية عيفة ..

حاولت (مبي) أن تقاومه في شراسة ، ولكن قوتها لم تكن

تساوي شيئاً أمام عضلات (سانشو) المقتولة ، وجسده

الضخم ، وقوته ..

لقد لطمها زعيم الذئاب في قسوة بالغة .. ودفعها لترطم

بالصخور ، ثم قفر والنقط مسدداً ، وصوبه إليها ، وهو يبتف

في وحشية :

— لقد خسرت أيها المصرية .

٨١

(٦٢ - رجل المسحيل - ذئاب وحماء (٥٣))

هتفت (مبي) في صهوبة ، وهي تشعر بآلام رهيبة في

جسدها ، من أثر ارتطامها بالصخور ، وقالت في خنق .

— هذا الانفجار يؤكد أنَّ (أدهم) قد نجح .

ابتسم (سانشو) في سخرية وشراسة ، وهو يقول :

— هذا الانفجار الهائل ، يؤكد أن نصف الممر الذي عبرناه

قد تحول إلى ضات صخور ، وأن الجميع قد لقوا حتفهم ، حتى

شيطانك المصري .

هتف في الحيزاز :

— ألا يتحىك مصرع رجالك ؟

لوح بذراعه في خنق ، وهو يقول في خشونة :

— فلماذا الجميع إلى الجحيم .. المهم أن أبقي أنا .

ثم رفع مسدسه إلى رأسها ، وهو يردف في وحشية :

— أنا فقط .. وداغاً أيها المصرية .

بدا المشهد في اللحظة التالية كالمعجزة ، فقد برز (أدهم)

فجأة ، وانقضَّ على (سانشو) كقنصل يلب على فريسه ،

وركل مسدس (سانشو) في مهارة ، ورشاقة ، وسرعة ، ثم

خاص بقبضته في معدته ، وهوى بقبضته الأخرى على فك

٨٣



ودفعها لترطم بالصخور ، ثم قفر والنقط مسدداً ،

وصوبه إليها ..

(سانشو) ، الذى تركب من فرط ألمه وذهره ، وسقط أرضاً
جاءت الميبن ، وهتف فى رعب هائل ، وهو يتطلع إلى
(أدهم) :

— هذا مستحيل !! أنت لست بشراً .. هذا مستحيل !!
أسرعت (منى) إلى (أدهم) ، وهى تهتف فى مرح :
(أدهم) .. حدثنا على سلامتِكَ .. لقد أصبحت أخيه
علاكى الحارس .

ابسم فى حنان ، وهو يربّت على شعرها ، قتلأ .
— إنها أول مرة يتطابق فيها أحد بخلاف لفظ الشيطان ،
الذى أمفته تماماً يا عزيزى .

ثم انحنى فى هدوء ، والقط المسلس ، وصوّبه إلى
(سانشو) ، وهو يقول فى صرامة :
— هيا أيا الرغد .. مازال الطريق أمامنا طويلاً .

كانت التصاروت (أدهم) الموالية المدحلة ، ولجائه من
أهوال ضيق ، يخيب لها الولدان ، قد حطمت (سانشو) ،
وأهكت جسده ومعنوياته ، حتى أنه بدا كعمجوز متهالك ،
وهو يغمغم فى ضراعة :

— الرحمة يا منور (أدهم) !! اتركى أرجوت ..
سأوصلك إلى نهاية المر ، ونفترق .

قال (أدهم) فى برود :
— لن نفترق إلا فى السفارة المصرية أيا الحقير
ثم أردف فى صرامة :
— لقد وعدت السفير . وسأحقق وعدى له ، مهما كان
الظمن .

★ ★ ★

تطلع (جارسيا) فى ألم ، وذهره ، إلى ما يقى من الطريق
إلى الجحيم ، بعد هدوء الموقف ، وهتف فى حنى :
— يا للشيطان !! .. لقد انهار المر تماماً .

ثم التفت إلى أحد التاجين من رجاله ، وسأله فى ضيق :
— كم يقى منا ؟

أجابته الرجل فيما يشبه الانهيار :

— أنا وأنت ورجلان فقط يا (جارسيا) .. لقد حطم ذلك
الشيطان المصرى كل شيء . ليست منظمة (ذئاب الجبال) .

عنى (جارسيا) شفته السفلى فى ألم ، وقال :
— سيدفع الظمن .

ثم عاد يسأل الرجل فى تولر :

— ترى هل لقي مصرعه أيتها مع الانفجار ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وقال :

— لا يا (جارسيا) ، لقد رأيته يقفز فوق الصخور ،
ويعود كالشيطان ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار .

زفر (جارسيا) فى غضب ، وهو يردّد :
— سيدفع الظمن .

غمغم الرجل فى تردّد :
— إنما أربعة رجال فحسب يا (جارسيا) ، وأحدنا

مصاب بجرح فى ذراعه .

صاح (جارسيا) فى جنون :

— سأواصل المطاردة ، حتى وإن بقيت وحدى أيا
الرجل .

ثم استطرد فى وحشية :

— لن يحصل هذا الشيطان أبداً لقب الرجل الذى هزم
(ذئاب الجبال) .

★ ★ ★

اجتاز (أدهم) و (منى) و (سانشو) الطريق إلى
الجحيم ، وأسرعوا البطا ، فى محاولة للوصول إلى سفح
الجبل ، قبل حلول الظلام ، وقال (سانشو) فى ضراعة :

★ ★ ★

موقف عصيب آخر في هذه المهمة المقدسة ..

أربعة رجال يطلقون مدافعهم الرشاشة في شرارة ،
(أدهم) لا يملك إلا مسدسًا واحدًا ، يحمل خمس
رصاصة فقط ، والطريق الممهّد على بعد أمتار قليلة ..
ولكن إصرار (أدهم) وإرادته كانا أقوى من رصاصات
المدافع الرشاشة ..

لقد دفع (سانشو) أمامه في عنف وعشوة ، وهو يقول
في صرامة :

— ضع كل قوتك في قديمك أيها الخنزير ، وحاول أن تعدر
بكل ما تملك من قوة ، وإلا أفرغت رصاصات مدفعي الرشاش
في رأسك .

دفع الخوف (سانشو) إلى القذو ، بكل ما يملك من قوة ،
وعطفه (أدهم) و (منى) ، ورصاصات المدافع الرشاشة
تهب حوله كالمطر ، و (جارسيا) يصرخ في جنون :

— لا تركوه يهرب .. أريقوا دماء عند سفح الجبل
ولكن (أدهم) ورفيقه وصلوا إلى سفح الجبل ، حيث

تلتصق غصن (أدهم) هادئًا ، مع القضبان (سانشو) ،
في وسط هذه الظروف المقدسة ، وتحوّل غصن إلى لكمة
ساحقة ، حطمت فك (سانشو) .. وكسرت نصف صف
أسنانه الأمامية ، وتركه (أدهم) يسقط أرضًا ، واستدار في
سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، اخترقت رأس
أحد الذئاب الأربعة ، الذين يطاردونه في شرارة ، وقفز
مضاميًا سيل رصاصات المدفع الرشاش ، التي انتهت عليه ،
وأطلق رصاصة أخرى ، سقط بعدها الذئب الثاني جثثًا ،
قفز (جارسيا) ، والرجل الباقى معه خلف الصخور ، وهتف
(جارسيا) في غضب :

— هذا الشيطان اللعين كالقدر .. لا تعطش رصاصاته
أبداً .

لم تصل هذه العبارة إلى مسامع (أدهم) ، الذي اغنى
يحمل جسد (سانشو) الضخم على كتفيه ، وهو يقول في
حدة :

— هلُم يا (منى) .. سيمجد عن هنا بقدر الإمكان .

هتفت (منى) في حقل ، وهي تعبر إلى جواره :

— ألي هذا الحمل القلبي عن كفتيك .. إنه يوق فرارنا

يمتد الطريق الممهّد ، وتلفتت (منى) حولها في ذهول ،
وهي تقول :

— لا توجد سيارة واحدة هنا .

صاح بها (أدهم) :

— استمرى في القذو يا (منى) .. كل دقيقة نضيها نجعل
هؤلاء الأوغاد أقرب .

لم يكن من الممكن أن يضيع (سانشو) الفرصة الأخيرة
لنجاته بهذه البساطة ، لذا فقد تظاهر بالتعب ، وألقى جسده
أرضًا ، وهو يصرخ بألم مصطنع :

— لقد التوى كاحل .. لن يمكنني المواصلة

جذبه (أدهم) في عنف ، وهو يقول في صرامة :

— امشي أيها المخادع ، سيواصل القذو ، ولو يساق
غشية .

ولكن رغبة (سانشو) في النجاة من حيل المشتبه ، كانت
تفوق رغبة (أدهم) في الوصول به إلى السفارة المصرية ، ولقد
دفعته رغبته في البقاء إلى الانقضاض على (أدهم) بغتة ،
والقبض على معصم اليد ، التي تمسك بالمسدس ، وهو يصرخ
في أمل أخير :

— إني يا رجال إني يا ذئاب الجبال !!

أجابها في صرامة :

— سأعسر كل ما فعلت ، لو أنني تركته .

لم يكذبهم عبارته ، حتى برزت سيارة في الطريق ، تتطرق
نحو (إيما) ، فلوح (أدهم) لقاتلها بيده ، هاتفاً :

— لو توقف هذا الرجل ، فسبكت النجاح لعمليتنا .

كان من المنطقي ألا يتوقف قائد السيارة ، وهو يرى
(أدهم) في لباس الصاعقة الممزقة ، وهو يحمل على كتفيه
جسد رجل ضخم ، في زى عمالي ، ويلوح بكفه التي تحمل
المسدس ، ولكن مشهد (منى) بجسدها الضئيل ، وذلك
الزنج من الإرهاق والذهر ، الرسمين على وجهها ، جعله
يضغط كاحه سيارته ، ويوقفها إلى جوارهم غامًا ، وهو يسأل
في اهتمام وقلق :

— ماذا أصابكم ؟

لم يكذب الرجل يوم عبارته حتى كان (أدهم) قد فتح باب
السيارة الخلفي ، وألقى جسد (سانشو) داخله ، ودفع
(منى) إلى جواره ، ثم قال لقائد السيارة في هجة حادة ، تشف
عن خطورة الموقف :

— لن يمكنني تفسير الأمر الآن ، ولكنني أؤكد لك أننا

في الجانب الخلف من الحياة ، وأن نجانبها جميعاً نحمد على أن نترك
في قيادة السيارة

شيء ما في كلمات (أدهم) ، أو مظهره ، أو أسلوبه ،
جعل الرجل يتنازل عن مقعد القيادة فوراً ، ويقفز إلى المقعد
الجانبي ، ويتطلع إلى (أدهم) في دهشة ، وهو يقفز خلف
عجلة القيادة ، ويطلق بالسيارة في مهارة تستحق الإعجاب .
وأياً ما كان هذا الشيء ، فلا ريب أن رصاصات المدفعين
الرشاشين ، اللذين أطلقهما (جارسيا) وزعميه على السيارة ،
كانت السبب الرئيسي لسرعة استجابة الرجل ودهشته ، وإن
لم يمنعه هذا من أن يسأل (أدهم) في توتر :

— من أنتم ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجاب (أدهم) في هدوء :

— إنها قصة طويلة يا سيور .

هتف الرجل في عصبية :

— من حقي أن أعرفها ، مادامت سيارتي مشترك فيها

مط (أدهم) ضلعيه ، دون أن يجيب ، في حين غمغمت

(مني) :

— هل يكفيتك أن تعلم ، أن هذا الخبرير المفاقد الوعي إلى

جوراي ، هو (سانشو) ، زعيم ذئاب الجبال ؟

٩٣



وهو يرى (أدهم) في ثياب الصاعقة الممزقة ،

وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ..

يا (جارسيا) ، فقائدها كان ينوي الفرار ، حين رأى المدفعين
الرشاشين في أيدينا ، ونحن نطلب منه التوقف .

غمغم (جارسيا) في سخط :

— هذا القبيح .. لقد كان يستحق رصاصتي ، التي اخترقت
رأسه .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يردف في سخرية مريرة :

— ولا أريد منك أن تبخل على ذلك الشيطان المصري

بالرصاصات ، حينما تتجاوز سيارتنا .. أريد منك أن تحوله إلى

فئات سنائر .

في نفس اللحظة كانت (مني) تقول لـ (أدهم) في توتر :

— سيلاحظان بنا بسرعة يا (أدهم) ، فتوق سيارتهم نفوق

قوة سيارتنا كثيراً .

أجاب (أدهم) في صرامة .

— سيكون من سوء حظهما أن يتجسعا .

لم تكذب عبارته تكتمل ، حتى جاورته سيارة (جارسيا) ،

وأصبحت تنطلق إلى يساره تماماً ، وهتف هذا الأخير في حراسة :

— أطلق النار يا (دنيو) .. حول هذا الشيطان المصري

إلى مصفاة .

٩٥

ضخبت وجه الرجل ، وانكمش في مقعده ، وهو يغمغم في

رعب :

— (سانشو) ؟ .. هل .. هل أنتما من ذئاب الجبال

أيضاً ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— لا يا سيور .. لقد انهارت منظمة ذئاب الجبال ،

إنهات إلى الأبد .

أنا صوت (مني) ، يقول في اضطراب واضح :

— يبدو أن هذا سابق لأوانه يا (أدهم) ، فهناك سيارة

قوية تطاردنا ، وتطل من نافذتها ماسورة مدفع رشاش .

ضغط (جارسيا) دواسة الوقود في سيارته بقوة ، وهو

يقول في حراسة :

— من سوء حظك أن عبرت هذه السيارة القوية بعد

لحارات أيا الشيطان المصري ، إن سرعة سيارتك الصغيرة لن

تأفي سرعة هذه السيارة أبداً .

قال الرجل لجالسي إلى جواره في قلق :

— من حسن حظنا نحن أن نجعلنا في الاستيلاء عليها بسرعة

٩٤

ولي مرعة ووحشية ، دفع (دينو) لوحة المدفع الرشاش نحو (أدهم) ، وصرخ في غضب وسادية :
— الوداع أيها الشيطان .
ودوى صوت الرصاص ، عند سفح الجبل ..

★ ★ ★

دوى صوت الرصاص بالفعل ، ولكنه لم يكن يطلق نحو (أدهم) .. وإنما كان انجابه عكسياً ..
كان يطلق من مسلح (أدهم) ، إلى رأس (دينو) ، الذي جعلت عيناه ، وسقط المدفع الرشاش من يده ، وسقطت رأسه على صدره ، وسالت منها الدماء في غزارة ، واتسعت عينا (جارسيا) في ذهول ، وضغط كفاحه سيارة بحركة تلقائية ، وهو يهتف :
— يا للشيطان !!

ثم امتلأت عروقه بدماء الغضب ، حينما تجاوزته سيارة (أدهم) ، وابتعدت في سرعة ، مسجلة هبوط مرعته المفاجئ ، فصرخ في جنون :
— سيكون هذا آخر ذنب جبال تقطه أيها الشيطان المصري .

٩٦

ثم ضغط دواسمة الوقود في قوة ، حتى تكادت قدمه تحترق أرض السيارة ، وانطلق كالصاروخ خلف سيارة (أدهم) ..
ول نفس اللحظة استعاد (سانشو) وعيه ، وحذق فيما حوله بذهول ، وسمع (منى) تهتف :
— سيلحق بنا مرة أخرى يا (أدهم) .. كم رصاصة بقيت معك ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— رصاصة واحدة يا (منى) .

تراجعت في مقعدها ، وهي تغمغم في خوف :

— يا إلهي !!

قال (أدهم) في صرامة :

— ليس أمامنا سوى المواجهة يا (منى) .

ولي حركة سريعة ، دار بسيارته في مهارة مذهلة ، وانطلق صرير العجلات في قوة ، جعلت صاحب السيارة يصرخ في ذعر ، وقد خيل إليه أن السيارة ستقلب رأساً على عقب ، ولكن مهارة (أدهم) الخرافية جعلتها تنزف في إتقان ، ثم تدفع مرة أخرى في مواجهة سيارة (جارسيا) ، وهنف صاحب السيارة في رعب :

٩٧

١٢ — آخر الذئاب ..

كان ذلك الطريق ، عند سفح الجبل ، ضيقاً ، لا يسمح بالتناورة بين سيارتين ، وكانت المسافة بين مقدمتيهما تقل في سرعة تخلفة ، ولم يكن (أدهم) مستعداً لحسارة مركبه ، بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من النصر ، لذا فقد أدار يده في سرعة مذهلة ، ولطم وجه (سانشو) بمسدسه ، فألقى به على المقعد الخلفي ، ثم عاد يلفت إلى الامام ، وأطلق رصاصه الوحيدة من نافذة السيارة ، في نفس اللحظة التي هتف فيها (جارسيا) في ذهول :

— ماذا يفعل هذا الشيطان المجنون ، لو أنه ارتطم بسيارتي فأسحق سيارته نصفين ، ولن يجد الوقت لـ ..

بتر عبارته فجأة على الرغم منه ، فقد اخترقت رصاصة (أدهم) زجاج السيارة الأمامي ، واستقرت في رأسه ، فبحظ عيناه في ألم وذهول ، ولقد تابريرق الحياة ، وتصلبت قبضته على عجلة القيادة ، وجدت قدمه على دواسمة الوقود ، واستمرت السيارة في الدفاعها نحو سيارة (أدهم) ، بفوردها رجل قتل ..

وصرخت (منى) في رعب ، وتثبت صاحب السيارة

٩٨

— ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. مستحطم سيارتي إرتما ، إذا ما ارتطمت بهذه السيارة القوية .

أجابته (أدهم) في حزم ، وهو يواصل الدفاع المجنون نحو سيارة (جارسيا) :

— إنها رصاصة واحدة يا سيور ، وأنا لا أحب أن أترك أي احتمال للخطر .

حبست (منى) أنفاسها ، حينما علمت ما يتبره (أدهم) ، واتسعت عينا (سانشو) في ذعر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب ، وهتف في أعماقه :

— لن أتركه يقتل (جارسيا) .. لن أترك هذا الشيطان يدمر آخر أمل لي ، ولذئاب الجبال .

ولي نفس اللحظة التي استعد فيها (أدهم) لإطلاق النار ، ولي الوقت الذي لم تعد المسافة بين السيارتين تسمح فيه بإضاعة لحظة واحدة ، تعلق (سانشو) بمنى (أدهم) ، وصرخ في جنون :

— لن أسمع لك هذه المرة أيها الشيطان .. لن أسمع لك .

★ ★ ★

٩٨

تقدمه في دهر ، واتسعت عينا (سانشو) في خوف ،
وتجبدت الدماء في عروقه ، ورأى الموت يطل من مباردة تلميذه
القتيل (جارسيا) ..

مطّ السفير المصري شفيع في ضيق ، وهو يتطلع إلى الحقيقة
الكبيرة ، التي تحتل بأوراق النقد الخضراء ، وسأل سكرتيره
في حق واضح :

— هل تحوى الحقيقة على مليون دولار كاملة ؟

أجابته سكرتيره في ضيق مماثل :

— لا تنقص دولارا واحدا يا سيدي ، وستذهب كلها إلى

(سانشو) .

عقد السفير حاجيه ، وهو يقول :

— لم أكن أتصور هذه النهاية أبدا ، حينما وصل ذلك المقدم

وزميلته إلى هنا .

ثم ابتسم في مرارة ، وهو يستطرد :

— لقد اتفقتي فتنه بنفسه جدّا في البداية .. تصور أنه

وعدني أن يجتو (سانشو) على ركبتيه هنا أمامي ، ويطلب مني

الرحمة .

١٠٠

١٠١

زفر السكرتير في ضيق ، وقال :

— ياله من وعد !! إنني أفتنى الآن ألا يطلب منا

(سانشو) أن لجؤن نحن على الأرض ، ونصرّح إليه أن يعيد

إلينا رجل القنارات وزميلته .

لم يكذب السكرتير يم عبارته ، حتى اتحم أحد رجال أمن

السفارة مكتب السفير ، وصاح في دهشة واضحة :

— سيدي .. لقد وصل (سانشو) .

رفع السفير حاجيه في دهشة ، وغمغم في سخط :

— وما الذي يدهشك في ذلك ؟ دعه يأتي ويسلم نقرده .

هتف الرجل في خيرة :

— ولكن يا سيدي

قاطعها السفير في حق :

— ولكن ماذا ؟

وفجأة اتسعت عينا السفير في ذهول ، وتراجع سكرتيره

كالمصعوق ، حينما اندفع (سانشو) بحمده الضخم داخل

الحجرة ، و (أدهم) يسك عنقه في صرامة ، وخلفهما برزت

(منى) ، وهى ابتسم في سعادة وظفر ..

وهتف السفير في فرح غامر :



جنا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،

وسكرتيره ..

— يا إلهي !! .. إنني لم أتصور حدوثك أبدا أيها المقدم

ولكن (أدهم) لم يجب عبارة السفير ، وإنما ضغط عنق

(سانشو) في قوة ، وهو يقول بالأسانية في صرامة مخيلة :

— اجث على ركبتيك أيها الخنزير

جنا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،

وسكرتيره ، ورجل الأمن ، الذين تملكهم ذهول شديد ،

وغمغم زعيم الدئاب في ضراعة :

— الرحمة يا سيدي السفير !! الرحمة يا سيور !!

حدّق السفير في وجه (سانشو) بذهول ، ثم رفع عينيه

إلى (أدهم) ، الذي نصب هامته ، وقال في صلابة :

— لقد حققت وعدى يا سيادة السفير ، وهذا الوعد

الراكع أمامك هو آخر ذئاب الجبال ، لقد منحى اسم هذه

المنظمة من تاريخ الإحرام إلى الأبد .

أحاط رجال أمن السفارة - (أدهم) ، يبتونونه في أنهار

واعجاب ، ويسألونه أن يقص عليهم تفاصيل معركته مع ذئاب

الجبال ، ولكنه ابتسم في إرهاق ، وقال وهو يلوح بذراعيه في

هدوء :

١٠٢

— فيما بعد يا رجال .. فيما بعد .. فأنا لم أذق طعم اليوم
 منذ ثلاثة أيام .
 تقدمت إليه زوجة السفير بكوب من الليمون المثلج ، وهي
 تقول بصمتة :
 — اتركوه الآن يا رجال ، فلقد حقق المقدم (أدهم)
 معجزة ، بقضائه على أقوى منظمة إجرامية في (بيرو) .
 هفتت (منى) في سعادة :
 — ولقد فعلها وحده ، ليحكم رأبهم ، وهو يصادى
 السيارة الأخرى في براعة مذهلة ، قبل أن ترتطم بنا .
 هز السفير رأسه في إعجاب ، وقال :
 — لقد كنت أظن أن هذا لا يحدث إلا في الأفلام السينمائية
 الأمريكية فقط .
 وهف سكرتيره في انبهار :
 — من قال هذا يا سيدي ؟ .. هل نسيت أن مخبرائنا
 المصرية من أعظم أجهزة المخابرات في العالم .
 تطلع إليه السفير في دهشة ، ثم ابتسم ، وقال :
 — يبدو أن نجاحك قد يبدل الكثير من الآراء يا سيدي
 (أدهم) .

والفد الجميع في حماس ، ثم سأله زوجة السفير في اهتمام :
 — ولكنك بذلت جهداً إضافياً لحمل (سانشو) إلى هنا
 يا سيدي (أدهم) .. هل كان ذلك بسبب وعدك للسفير فقط ؟
 صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :
 — بل كان هناك سبب آخر يا سيدي .. فتحطم ذئاب
 الجبال يفقد قوته ، ما لم يقترن بضجة إعلامية مناسبة ،
 ولا توجد ضجة إعلامية أكبر من محاكمة زعيم ذئاب الجبال ،
 وإعدامه .
 ثم استورد في صرامة :
 — بهذا فقط يعلم الجميع أن أمن مصر أسطر من أن يحاول
 أى مخلوق المساس به .
 صمت عبارته عواطف الجميع ، وانجلبت لها قلوبهم ،
 وطمعهم السفير في حماس :
 — لقد انتهت أعظم مهامك بالنجاح أيها المقدم ، وبحق لك
 الشهور بالفخر الآن .
 هز (أدهم) رأسه نفثاً ، وقال :
 — لا سيدي .. لم تنته مهمتي بعد ، فما زال هناك وغد
 لم يلق جزاءه بعد .

١٣ — الختام ..

صعد المفتش (رود) إلى منزله في خطوات سريعة ، ودس
 مفتاحه في ثقب الباب ، وهو يغمغم في حق :
 — تبا لـ (سانشو) ورجاله ، لقد اعتدت الإنفاق
 بسخاء ، حينما كنت ألتقي رائباً شهرياً ضخماً منهم ، فماذا
 أفعل الآن ، بعد أن سقط هو في قبضة الشرطة ، وتحطمت
 منظمته كلها ؟
 دفع باب منزله في جلبة ، وأغلقه خلفه في عصبية ، ثم أشعل
 سيجارته ، ومز بهد ليضئ مدخل المنزل ، ولكن يده تسمرت
 في مكانها ، وانسعت عيناه في ذعر ، وهو يحذق في الرجل الذي
 يقف هادئاً في ركن المدخل ، وسلطت سيجارته من بين
 شفتيه ، وهو يغمغم في خوف :
 — من هناك ؟
 تحرك الرجل نحوه في برود ، وهو يقول :
 — ألم تعرفني أيها الوغد ؟
 أسرعت يد (رود) تضئ المدخل ، ثم تراجع في رعب ،
 وهو يحذق في وجه (أدهم) ، ويهتف في صوت مختق :
 — يا للشيطان !! .. أنت ؟

سأله (منى) في دهشة :
 — من تعنى يا (أدهم) ؟
 أجابها في هدوء :
 — المفتش (رود) .



ثم لَوَّحَ بذراعيه في دُعرٍ ، وهو يهتف :

— لقد أمرني (سانشو) بذلك .. إني لم ..

أعمرسه (أدهم) بلكمة ساحقة على فكه ، أعقبها بأخرى هتخت الله ، وثالثة غاصت في معدته ، سقط بعدها (رود) ، وهو يتأوّه في دُعرِ والٍ ، فاعتدل (أدهم) ، وقال في برود وصرامة :

— لقد انتهت أيها الخائن الحقير .. لقد أرسلت إلى الشرطة كل ما يثبت تورطك مع ذئاب الجبال .. متدفع ثمن خيانتك غالباً . حاول (رود) إيقاف نزيف الدم الغزير من أنفه وأسانه المخطّمة ، وهو يقول في دُعرٍ :

— لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

قلب (أدهم) شقته في احتقار ، وقال :

— هذا جزء كل من يحاول المساس بأمن مصر .

ثم تجاوز (رود) في هدوء ، وغادر شقته ، وأغلق بابها خلفه ، ووصل إلى مسامعه نجيب الخائن — وهو يهبط في درجات السلم بهدوء — حتى وصل إلى الطريق ، فالتجّه في عطرات ثابتة هادئة إلى سيارة أنيقة ، تقف ساكنة إلى جوار الطريق ، ونجلس (مني) خلف عجلة قيادتها ، وفتح بابها الأيمن وجلس إلى جوار (مني) ، التي سألت في هدوء :

— هل انتهت مهمتك ؟

أوماً برأسه إيجاباً . وهو يفلق عينيه ، فعادت تسأله :

— هل تشعر الآن بالارتياح ؟

ابتسم وهو يسند رأسه إلى مقعده في استرخاء ، وغمغم :

— كل الارتياح يا عزيزتي .

أدارت محرّك السيارة ، وهي تقول :

— أعتقد أنه ينبغي أن نتطلق الآن إلى المطار ، فستقلع

طائرتنا بعد ساعتين فقط .

أجابها في صوت متكاسل :

— افعل ما تريبه صواباً يا عزيزتي ، ولا توقظيني حتى

نصل إلى المطار .

ابتسمت وهي تتأمله في حنان ، ثم انطلقت بالسيارة ، وهي

لا تصدّق وجوده حيناً إلى جوارها ، بعد ذلك الصراع

الدامي ، وبعد كل هذا القبح من الذناب .. والدماء .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رَمَ الإبداع : ٣٦٩٩